الرعاية

لاغريغوريوس الكبير

كنيسة مارجرجس باسبورتنج

الرعاية

للبابا غريغوريوس الكبير

الجزء الأول

كنيسة مار جرجس بالسبتية

مقدمة

هذا الكتاب يبحث فى موضوع يهم الكنيسة المقدسة فى كل الأجيال وخاصة فى جيلنا هذا . فموضوع الرعاية بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية هو موضوع حيوى لأنها كنيسة أبوية . ومنذ اللحظة التى ضعفت فيها الرعاية وفترت الأبوة فى الكنيسة ، منذ هذه اللحظة والكنيسة تعانى ضعفاً وركوداً.

ولهذا الكتاب قيمة تاريخية إذ أنه كان يسلم للأساقفة فى أوربا عند رسامتهم أمام المذبح مع الانجيل المقدس وقوانين الآباء الرسل. ومما يضيف إلى قيمته التاريخية أن إغريغوريوس الكبير استقى موضوعه واقتبس كثيراً من العظة الثانية كتبها القديس اغريغوريوس النزينزى عن الرعاية فى سنة ٣٦٢ م . وقد أوردنا مثلا لهذا فى الفصل السادس من الباب الأول . وربما إستعان المؤلف بكتاب « الكهنوت » للقديس يوحنا ذهبى الفم الذى كتب فى سنة ٣٨٢ م . إلا أنه ليس لدينا دليل قاطع على هذا .

بقى أن تعرف أيها القارىء العزيز أن الكتاب يتألف من أربعة أبواب ترجم الجزئين الأولين منهم عن النص الوارد فى مجموعة كتابات الآباء الأولين The Aincient Fathers Writtings بعد ما قورنا بالنص الوارد فى مجموعة « آباء نيقية » .

The Nicene & Post Nicene Fathers, 2nbs., Vol. VII.

راجين الرب يسوع الراعى الأعظم أن يأتى الكتاب بالثمر المطلوب لخدمة الكنيسة الجامعة رعاة ورعية ، له المجد آمين ؟

الكنيسة

الباب الأول

مسئولية الراعي

من أغريغوريوس إلى أخيه المكرم الأسقف الشريك ، القديس يوحنا. أخي العزيز : إنك تلومني في عطف واتضاع لأني قصدت باختبائي هذا ، الهروب من ثقل الأعباء الرعوية . وكل ما أخشاه أن تظهر هذه الأعباء للبعض وكأنها هينة وبسيطة لذلك قصدت من هذا الكتاب أن أبين كم هي شاقة كي يعلم الذين لم يحملوا نيرها أنه لا ينبغي لهم - في نظري - أن يسعوا بجهالة في طلبها . أما الذين قد صاروا جهلاء لرغبتهم الملحة فيها فليشعروا بخوف في إقتنائها .

إن طبيعة الموضوع لتتطلب من الراعي أن يدرك جيداً .

أولا : ماهية الطريقة التي ينبغي بها الاقدام إلى مكانة عالية المقـــدار .

ثانياً : كيف يسلك الراعي حين يصل إليها باستحقاق ، وكيف ينبغي أن يعلم الآخرين في حياة الاستقامة ، وبأي نوع من اليقظة ينبغي أن يتحقق الراعي من ضعفاته اليومية خلال قيامه بخدمة التعليم .

ينبغي أن تتضح كل هذه الأمور لئلا يفتقر إلى الإتضاع

بعد الوصول إلى هذه الدرجة . إن طرق الحياة الآن تناهض تماماً هذه الخدمة ، فلقد إبتلع العلم حياة الاستقامة وبالغ الفكر البشرى فى تقدير العلم . لهذا وقبل كل شىء يجب أن يضع الخوف حداً لإشتهاء الوصول إلى مثل هذه المراكز . أما إن وصل الانسان إلى مثل هذه الدرجة دون أن يطلبها فلتكن حياته سبباً فى تمجيدها ، إذ من الضرورى أيضاً أن تظهر إستقامة الراعى فى سلوكه عن طريق الوعظ والارشاد .

أخيراً ليس لى شىء أضيفه إلا أنه ينبغى أن نتحقق من ضعفاتنا الذاتية التى تحقر من قدر كل ما أحرزناه من أعمال لئلا يؤدى زهو غرورنا إلى تجريد هذه الأعمال من قيمتها فى عين الديان غير المنظور .

الفصل الأول

لا يجسر أحد أن يقوم بتعليم أى فن من الفنون إلا إذا أتقنه بالتأمل والدراسة . إذاً كيف يندفع غير المتأهل ويحمل واجبات الرعاية على عاتقه وهو يعلم أن قيادة النفوس هى فن الفنون .

ومن منا لا يعرف أن جراح العقل هى أشد تأصلا من جراح الجسد الداخلية إن الذين يجهلون خواص العقاقير الطبية يخشون أن يعلنوا أنهم أطباء للجسد ، ولكن مما يؤسف له أن الذين يجهلون المبادىء الروحية تماماً ، لا يترددون فى كثير من الأحيان فى أن يدعوا أنهم أطباء الروح .

ومع أن العناية الإلهية قد فرضت على أصحاب المسئوليات أن يلاحظوا الأمور الدينية ، إلا أن البعض منهم يتوق إلى العظمة والتقدير باستعراض مظهرى لسلطتهم داخل الكنيسة المقدسة. انهم يرغبون فى الظهور كمعلمين ويشتهون السيادة على الآخرين كما يشهد الحق الإلهى « ويحبون المتكأ الأول فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع والتحيات فى الأسواق » مت ٢٣ : ٦ .

مثل هؤلاء الأشخاص هم أبعد ما يكونون عن الصلاحية

للقيام بأمانة ولياقة بالواجبات الرعوية ، إذ يبلغ بهم الأمر أن يصيروا معلمين للتواضع بكلام كله كبرياء ، ومن الواضح أنه فى مثل هذا التعليم لا ينطقون إلا بلغو باطل ، إذ هم يعلمون عكس ما يسلكون . على هؤلاء الناس يعلن الله غضبه على لسان النبي قائلا «هم أقاموا ملوكا وليس منى، أقاموا رؤساء وأنا لم أعرف» هوشع ٨ : ٤ .

هؤلاء يحكمون برأيهم وليس بإرادة المدبر الأعلى . إنهم لا يستندون على أية فضيلة فالله لم يدعوهم ، لكنهم إندفعوا بجشعهم إلى منصب الرعاية. وحقيقة الأمر أنهم لم يصلوا إلى ذلك المنصب ولكنهم إغتصبوه .

إن الديان العادل ينكرهم ويتجاهلهم لأن الذين يخفف عنهم التجارب والآلام فى هذا العالم إنما هم فى الحقيقة مرفوضون منه. لهذا يقول رب المجد لمثل هؤلاء حتى ولو قاموا بصنع المعجزات « تباعدوا عنى ياجميع فاعلى الظلم » « لا أعرفكم قط » لو١٣ :٢٧، مت ٧ : ٢٣ .

إن صوت الحق الإلهى يوبخ عدم صلاحية مثل هؤلاء الرعاة قائلا : « وهم رعاة لا يعرفون الفهم » أش ٥٦ :١١، ومرة أخرى يؤنبهم الرب قائلا : « وأهل الشريعة لم يعرفونى » أر ٢ : ٨ .

لذلك يشكو الحق الإلهى من هؤلاء الرعاة لأنهم لم يعرفوه إذ لا أحد يفهم سمو خدمة القيادة إلا الذين عرفوه فالذين يجهلون ما هو الرب يتجاهلهم الرب كما يقول بولس الرسول « ولكن أن يجهل أحد فليجهل » ١ كو ١٤ : ٣٨ .

إن عدم استحقاق الراعى يكون فى أغلب الأحيان موافقاً لعدم استحقاق الرعية ، فإذا كان الرعاة لم يملكوا نور المعرفة نتيجة لخطيئتهم الشخصية فإنه يتبع ذلك أن تعثر الرعية التى تتبعه بسبب جهلها حسب قصاص القضاء من أجل ذلك قال رب المجد يسوع « إن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما فى حفـــرة » مت ١٥ : ١٤ ، لو ٦ : ٣٩ وفى هذا قال صاحب المزامير متنبئاً « لتظلم عيونهم عن البصر وقلقل متونهم دائماً » مز ٦٩ : ٢٣ . فالقادة يمثلون العيون لأنهم يقيمون فى أعلى الأمكنة وقد أخذوا على عاتقهم توضيح الطريق أما الذين يتبعونهم وقد إرتبطوا بهم فهم يشبهون « المتون » فإن اظلمت العيون إنحنت المتون أيضاً ، لأنه إن فقد القادة نور المعرفة سقط الذين يتبعونهم تحت ثقل خطاياهم .

° ° °

الفصل الثانى

على الذين لم يختبروا فى حياتهم ما تعلموه بالدراسة ألا يقولوا خدمة الرعاية

هناك من يفحصون الوصايا الروحية باجتهاد فكرى ثابت لكنهم بسلوكهم يطئون على ما أدركوه بفهمهم . إنهم يسرعون إلى تلقين كل ما تعلموه من الدراسة وليس من حياتهم العملية . وبذلك فهم يناقضون بسلوكهم ما يعلمونه بأفواههم .

وهكذا إذ يسير الراعى فى الأماكن المنحدرة يتبعه القطيع فيسقط فى وهدة الهلاك . إن الرب يحزن من معرفة الرعاة الردية فيقول على لسان النبى « أهو صغير عندكم أن ترعوا المرعى الجيد وبقية مراعيكم تدوسونها بأرجلكم وأن تشربوا من المياه العميقة والبقية تكدرونها بأقدامكم وغنمى ترعى من دوس أقدامكم وتشرب من قدر أرجلكم » حز ٣٤ : ١٨ ، ١٩ .

ومن الواضح أنه عندما يرتوى الرعاة من سبيل الحق بفهمهم الصائب فإنهم يتهلون مياها صافية نقية ولكنهم إذ يفسدون التأمل المقدس بحياتهم الشريرة فإنهم يكدرون المياه بأقدامهم .

ومن البديهى أن الرعية ستشرب من هذه المياه الملوثة التى تعكرت من هذه الأقدام ، ثم تمتنع عن تنفيذ التعاليم التى سمعتها لأنها تتمثل بالقدوة الشريرة التى تراها .

وبينما تتوق الرعية إلى فعل ما يقوله الرعاة فإنها تنحرف من جراء ما يفعلونه فتمتص الطين مع ما تتجرعه وكأنها تشرب من ينبوع ملوث لهذا كتب النبى قائلا إن الكهنة الأشرار قد صاروا فخاً لهلاك الشعب وأيضـــاً يقول الرب بالنبى بخصوص الرعاة « كانوا معثرة ثم لبيت اسرائيل » حز ٤٤ : ١٢ .

ليس هناك من يلحق الأذى بالكنيسة أكثر من أولئك الذين لهم صورة القداسة ولقبها ولكنهم يتصرفون تصرفاً فاسداً. ومن الخطأ الفادح أن نعهد بمكانة الرعاية إلى شخص مقصر حيث أن الرعاية هى القدوة . وإن إساءة اختيار الراعى ينتج عنها عواقب وخيمة إذ أنه وهو خاطىء سيأخذ كرامة من أجل هذه المكانة التى وضع فيها .

فليهرب كل انسان غير مستحق من ثقل هذا الإثم العظيم ويتأمل مصغياً بأذنى قلبه لهذا الصوت القائل « ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بى خير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى

ويغرق فى لجة البحر » مت ١٨:٦ ، لو ١٧:١ . إن حجر الرحى يرمز هنا إلى دوامة الحياة ولجة البحر تشير إلى الهلاك الأبدى فمن الأفضل جداً أن يهلك انسان علمانى بمفرده لبس ثوب القداسة صورياً من أن يخلع الخادم على نفسه ذلك الثوب ويهلك الآخرين بقدوته الشريرة . وإنى لمتيقن أن عقاب الجحيم سيكون أخف وطأة لو سقط هذا الانسان فيه بمفرده دون أن يكون سبباً فى سقوط الآخرين معه .

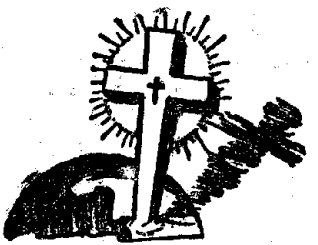

الفصل الثالث

أعبـــاء الرعاية

عدم الاهتمام بالشدائد — الحذر من غرور النجاح

لقد قلنا هذا باختصار لتظهر كثرة أعباء الرعاية ، لئلا يتدس غير المستحق لهذه الخدمة المقدسة فيستعلى بدافع الرغبة فى المجد فيقوده هذا إلى الهلاك من أجل هذا يقول يعقوب فى محبة أبوية محذراً « لا تكونوا معلمين كثيرين يا إخوتى » يع ٣ : ١ .

لأجل هذا فإن الوسيط بين الله والناس الذى يفوق فى المعرفة والفهم كل الأرواح السمائية ، والذى يحكم فى السماء منذ الأزل قد هرب من قبوله مملكة أرضية لأنه مكتوب عنه « أما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويخطفوه ليجعلوه ملكاً إنصرف أيضاً إلى الجبل وحده » يو ٦ : ١٥ . من منا يستطيع أن يملك تماماً على الناس بلا لوم مثل هذا الذى يدبر رعيته التى خلقها بذاته !! لكن يسوع أتى فى الجسد ليس فقط لكى يخلصنا بآلامه بل ليعلمنا أيضاً بحياته مقدماً مثالا للذين يتبعونه لذلك رفض الملك وارتضى أن يذهب بإرادته إلى خشبة الصليب . هكذا

هرب من المجد العظيم الذى قدم له واختار ألم الموت وذله لكى يشترك معه أعضاء جسده فى الهروب من مجد العالم، فيتعلموا عدم الخوف من الشدائد وحب الضيقات من أجل الحق ، والحذر من غرور النجاح لأن النجاح غالباً ما يدنس القلب بالمجد الباطل ، أما الضيقات فتنقيه بالأحزان . فى النجـــاح ينتفخ العقل وفى الضيقات تخمد نار العظمة . فى النجاح يتناسى الانسان حقيقة نفسه وفى الضيقات يعود الإنسان ولو مضطراً إلى نفسه ويعرف حقيقتها فى النجاح تحسب كل الأعمال الخيرة السابقة كلا شىء ، أما فى الضيقات فتذوب كل الذنوب حتى المزمن منها .

ومعلوم لدينا من خبرتنا العامة أنه فى مدرسة الشدائد يعود القلب إلى تنظيم نفسه بنفسه . وعلى العكس عندما يبلغ المرء مركزاً عالياً فإنه على النو يتغير القلب ويتعظم .

هكذا تحقق شاول فى أول الأمر أنه غير مستحق فهرب من أمجاد الملك لكن بعد أن تولى الملك إنفتح بالكبرياء (١ صم) فتركه صموئيل وتخلى عنه لأنه إشتهى مجد الناس ورضائهم. وأيضاً داود الذى كان مقبولا فى كل أعماله أمام الله الذى إختاره ، بمجرد تحرره من إلتزاماته إنطلق فى أوهامه الفاسدة فى عنف وقسوة فقتل الرجـــل !! وضعف بالزنا إذ إشتهى المرأة

(٢ صم ١١، ٢٠) تعلم يا أخى من داود الذى بعطفه أبقى على حياة الشرير شاول ، ولكنه بعد أن ملك لم يتردد فى قتل البار أوريا الحثى .

حقاً لقد رفض أولا أن يقتل الشرير الذى طالما إضطهده لكنه بعد أن ملك قتل قائده المخلص وهو يعلم مع ذلك الأضرار التى ستحوق به .

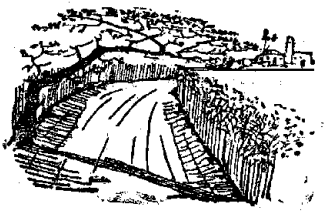

الفصل الرابع

الانشغال بأمور الرعاية الكثيرة يشتت تركيز العقل

عندما ينشغل الراعى بأعباء الرعاية ، فإنه غالباً ما تتملكه الحيرة من تعدد مسئولياتها . فعندما يتشتت فكره فى إهتمامات كثيرة وينشغل بها فإنه يجد نفسه غير أهل لواحدة منها لذلك ينبهنا يشوع بن سيراخ محذراً : « يابنى لا تكن أعمالك فى أشياء كثيرة » (يشوع بن سيراخ ١١ : ١٠) .

إن العقل لايستطيع أن ينحصر فى متابعة شىء إذا كان مشتتاً بين أمور كثيرة ، وعلى ذلك فإذا انشغل فى البحث عن إهتمامات دخيلة عليه فإنه فى الواقع يفقد إهتمامه الثابت بباطنه . ومن العجيب أن يعرف العقل كيف ينظم الأمور الخارجية ويوزع إهتمامه بين كثير منها فى حين أنه يجهل حقيقة نفسه . فهو إذ ينشغل بالأمور الخارجية فوق ما ينبغى يصبح كأنه فى رحلة طويلة إنهمك فيها فنسى هدفها . مثل هذا العقل يكون بعيداً كل البعد عن فحص ذاته حتى أنه لايشعر بما يقاسيه من أذى وبما يرتكبه من أخطاء جسيمة إن حزقيا الملك لم يتحقق أنه قد أخطأ

حين كشف للغرباء الذين أتوا إليه ذخائر بيته من ذهب وفضة وإذ ظن أنه فعل حسناً وقع تحت غضب الديان وعوقب كل أبنائه الذين خرجوا من صلبه (أش ٣٩ : ١ - ٧) .

وهكذا عندما يكون لدى الراعى إمكانيات وفيرة فإنه غالباً ما يقوم بأعمال تعجب منها الرعية لمجرد صنعها، الأمر الذى يؤدى به إلى انتفاخ عقله بأوهام تثير غضب الديان مع أنه لم يصدر عن هذا الراعى فى الظاهر أى فعل شرير . لكن الذى يدين والذى يدان يعرفان ما فى الباطن فعندما نصنع التعدى فى قلوبنا لا يعرف الناس عن ذلك شيئاً لكن الديان شاهد على آثامنا .

إن ملك بابل لم يكن متكبراً لأنه تفوه فقط بأقوال التشامخ، فلقد سمع من فم النبى حكم الرفض من قبل الرب قبل أن يبوح بكبريائه . وقد تنقى حقاً من خطية الكبرياء عندما إعترف أمام كل الشعب بالله الواحد الجبار الذى أغضبه . ثم بعد ذلك إذ ارتفع بازدهار قوته وسر بعظمة ما حققه تعالى بغروره الذاتى عن كل الآخرين ثم إذ إنتفخ بالكبرياء قال ! « أليست هذه بابل العظيمة التى بنيتها لبيت الملك بقوة اقتدارى وبجلال مجدى » دا ٤ : ٣٠ . وهكذا وقع تحت طائلة الغضب الإلهى الذى أثارته كبرياؤه الكامنة فى داخل نفسه لأن الديان العادل يرى أولا ما فى

الخفاء ثم يوبخ علانية لذلك أحاله الله إلى حيوان أبكم وعزله عن مجتمع الانسان وأسكنه مع الوحوش بعد أن سلبه عقله . إن من يرفع ذاته فوق كل الناس يفقد إنسانيته حسب عدالة الحكم ووضوحه وإننا إذ نورد هذه الأمثلة لا نلقى اليأس فى قلوب المقبلين على هذه الخدمة بل نحصن القلوب البسيطة من إشتهائها لئلا يتجرأ الفاسدون فيغتصبون المراكز السامية ، ويحاول الذين يتعثرون فى الأراضى السهلة أن يتسلقوا الوهاد والقفار .

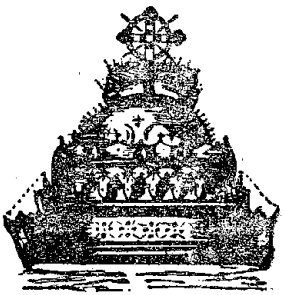

الفصل الخامس

عن اصحاب المراكز السامية الذين يمكنهم افادة الآخرين عن طريق الاقتداء بفضائلهم لكنهم يهربون من الخدمة لاجل سلامهم الشخصي

يوجد من الناس من أعطوا فضائل سامية وتميزوا بمواهب عظيمة لتدريب الآخرين ، هؤلاء الذين لم يتدنسوا فى حبهم للطهارة وتقووا بقوة العفة ، وشبعوا بطعام المعرفة وتواضعوا بصبر مقاسين آلاماً كثيرة ، ثابتين فى حصنهم الروحى ، مترفقين بشفقتهم على الآخرين ، أشداء غير متهاونين فى العدالة ، هؤلاء برفضهم مراكز الرعاية عندما يدعون اليها يحرمون أنفسهم من هذه المواهب التى نالوها لا لأنفسهم فقط بل من أجل الآخرين أيضاً . وإذ ينظر هؤلاء إلى مصلحتهم الشخصية ، لا إلى مصلحة الآخرين فإنهم يفقدون مثل هذه الأشياء النافعة رغبة منهم فى الاحتفاظ بها لأنفسهم فقط . لذلك قال الحق الإلهى لتلاميذه « لا يمكن أن تخفى ؟ مدينة موضوعة على جبل ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين فى البيت » مت ٥ : ١٤ . ولذلك قال رب المجد أيضاً لبطرس « يا سمعان بن يونا أتحبنى » وللوقت عندما أجابه سمعان أنه يحبه

أخبره يسوع قائلا « إن كنت تحبنى أرعى غنمى » يو ٢١ : ١٧ .
إذاً فإن كانت خدمـــة الرعاية هى إعلان عن الحب فإن الذين يرفضون رعاية قطيع الرب وقد إشتملوا بالفضائل يوصمون بعدم حبهم لراعى الرعاة الأعظم . لذلك قال بولس الرسول « إن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذا ماتوا وهو مات لأجل الجميع لكى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام » ٢ كو ٥ : ١٤ ، ١٥ .

وهكذا قال موسى أن يأخذ الأخ الذى على قيد الحياة زوجة أخيه الذى مات بغير نسل ويقيم نســـلا لأخيه فإن رفض أن يأخذها تبصق فى وجهه ويخلع الوصى أحد نعليه ويدعون بيته ببيت مخلوع النعل (تث ٢٥ : ٥ - ١٠) .

يسوع هو أخونا الذى مات وقال بعد ما ظهر فى مجد القيامة « إذهبا قولا لإخوتى » مت ٢٨ : ١٩ . المسيح مات ولكن لم يكتمل بعد عدد البنين المختارين . وكما كان الأخ يأخذ امرأة أخيه الميت هكذا فمن الصالح أن تسند رعاية الكنيسة المقدسة إلى أصلح الناس لكى ما يدبروها حسناً فإذا لم يقبل فإن العروس زوجة الأخ تبصق فى وجهه لأن كل من لا يعنى بمساعدة الآخرين بما له من مواهب فإن الكنيسة المقدسة ترفضه أيضاً وتخلع أحد

تعليمه فيدعى بيته بيت مخلوع النعـــل ، لأنه مكتوب « حاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام » أف ٦ : ١٥ . وهكذا يوجد كما قلنا أناس أعطوا مواهب عظيمة لكنهم من أجل حبهم للتفرغ ومتابعة التأمل يرفضون خدمة الآخرين بالوعظ والارشاد ويحبون أن يعتزلوا فى هدوء راغبين الوحدة للتأمل . والآن إن حكمنا على سلوكهم بدقة فإننا نجدهم بالتأكيد مقصرين فى حق خدمة الشعب . إذ بأى ضمير يفضل ذو المواهب خلوته الخاصة على منفعة الآخرين ، بينما هو يعلم أن الابن الوحيد الذى للآب المتعالى قد نزل من حضن أبيه إلى وسطنا ليصنع خلاصاً لكثيرين .

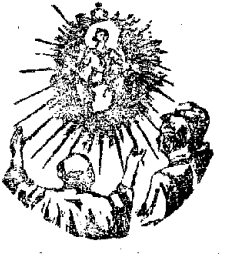

الفصل السادس

الذين يهربون من اعباء الرعاية بسبب التواضع يكونون بالحقيقة متضعين عندما لايقاومون الدعوة الالهية

بعض الناس يهربون من أعباء الرعاية بسبب الاتضاع الحقيقي إذ أنهم لا يشعرون بأفضليتهم عن غيرهم بل يعتبرون أنفسهم أقل الجميع.

وتواضعهم هذا يكون حقيقياً في عيني الرب عندما يكون متحلياً بفضائل أخرى، فلا يكون هذا التواضع سبباً لرفضهم القيام بما يمكنهم تأديته على خير وجه لأن الذي يعلم أن إرادة العلي قد أقامته راعياً ومع ذلك يرفض هذه الإرادة لا يكون متواضعاً حقاً. لكن إن وضعت عليه أعبـــاء الرعاية وله من المواهب ما يستطيع به أن ينفع الآخـرين، فعليه أن يخضع لأوامر الله ويبتعد عن خطية العناد ويهرب منها بقلبه ويقدم ذبيحة الطاعة حتى ولو كانت ضد رغبته (١).

---

(١) في هذا يصف القديس إغريغوريوس الناطق بالإلهيات موقفه حائراً بين أمرين: بين خوفه من مسئولية الرعاية وبين عصيانه للدعوة الالهية بالهروب فيقول: «ولكن نميز بوضوح بين الموقفين نقول أنه من جهة الخوف من هذه الخدمة فان لنا ملاذاً في ناموس الطاعة، إذ الله بصلاحه ينظر إلى إيماننا ويجعل من الذين يتكلون عليه ويضعون فيه كل آمالهم رعاة مكملين. لكن لا أعرف شيئاً يلجأ اليه الانسان في حالة عصيانه للدعوة.. أخشى أن يسمع ذلك الانسان هذا الصوت «أما دمه فمن يدك أطلبه» حز ٣: ١٨».

الفصل السابع

يمدح بعض الناس الذين يشتهون خدمة التعليم ويمدح البعض الآخر الذين يساقون اليها مجبرين

يشتهى بعض الناس أحياناً منصب المعلم ويمدحون على ذلك. والبعض يساقون اليها مجبرين ويمدحون أيضاً لذلك ويظهر هذا بوضوح عندما نتأمل حالة نبيين أحدهما يقدم نفسه من تلقاء ذاته لرسالة التعليم بينما يمانع الآخر عن خوف، فمثلا عندما سأل الرب عن الذى سيرسله قدم إشعياء نفسه باختياره قائلا «ها أنذا أرسلنى» أش ٦ : ٨. بينما كان أرميا على العكس يمانع بوداعته فى أن يجبر على الذهاب قائلا «آه يا سيدى الرب إنى لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد» أر ١ : ٦.

تأمل كيف أن هذين النبيين صدر عنهما قولان مختلفان مع أن هذين القولين لم ينبعثا من ينابيع حب مختلفة. فهناك ناموسان للحب، واحد منهما مبنى على حب الله والآخر على حب القريب. أراد إشعياء الحياة العاملة فى خدمة التعليم مدفوعاً إلى ذلك برغبته فى إفادة أقربائه. أما أرميا فقد إشتهى أن يلتصق بحب جاره فى حياة التأمل. إن الأمر الذى سعى اليه الواحد هرب منه الآخر.

فواحد يخشى لئلا يفقد بالتعليم فوائد التأمل الهادىء والآخر يخشى نتيجة لعدم التعليم أن يصيبه الأذى لقلة العمل المتواصل.

والآن لنفهم جيداً فى كلتا الحالتين أن الذى مانع لم يقاوم تماماً والذى قبل الرسالة قد تطهر قبلا بحمرة من على المذبح (أش ٦ : ٦) . إن الذين لم يتطهروا لا يحق لهم أن يقوموا بهذه الخدمة المقدسة . والذين قد تطهروا بالنعمة الإلهية عليهم ألا يقاوموا الدعوة بكبرياء تحت ستار الاتضاع .

وحيث أنه من الصعب أن يعرف الانسان ما إذا كان قد تطهر أو لم يتم تطهيره بعد فمن الأسلم له أن يرفض خدمة التعليم ، لكن كما قلت لا يحق أن يرفض بإصرار إذا أعلنت الإرادة الإلهية التى يجب أن تنفذ . وقد إلتزم موسى بالأمرين السابقين ؛ فبينما لم يقبل رعاية شعوب كثيرة إلا أنه قد أطاع لأنه سيكون حتما متكبراً لو تعهد قيادة هذا الشعب الغير محصى بدون خوف ، كما أنه سيكون أيضاً متكبراً لو أنه رفض أمر الخالق ومن ثم كان متواضعاً فى كلتا الحالتين ، وفى كليهما كان مطيعاً أعنى فى عدم رغبته فى حكم الشعب ناظراً إلى نفسه فقط وفى قبوله الحكم معتمداً على قوة الله الذى دعاه .

ليفهم إذاً المندفعون ، من مثل هذه الأمثلة كم يعظم ذنبهم إذ

هم إندفعوا وراء رغباتهم الشخصية ولم يرهبوا خدمة الرعاية بينما يرون قديس الله يرفضون قبول رعاية الشعب وقد دعاهم الله نفسه . لقد إرتعب موسى مع أن الله قد شجعه ومع ذلك يسعى ضعفاء الناس وراء هذه الخدمة . ومن العجيب أن الذين على وشك السقوط تحت ثقل أعمالهم يرغبون فى إغراق أنفسهم بوضع أحمال الآخرين على أكتافهم ! والذين قد وهنوا تحت حمل أعبائهم يضيفون إلى أعبائهم أحمالا أخرى .

الفصل الثامن

عن الذين يشتهون الرفعة ويحورون آية الرسول لتخدم جشعهم

وكما يحدث كثيراً ، أن الذين يشتهون الرفعة يطلبون سنداً لجشعهم فيستغلون آية الرسول القائلة « إن اشتهى أحد الأسقفية فيشتهى عملا صالحاً » ١ تى ٣ : ١ . فبينما يمدح الرسول هذه الرغبة نجد أنه على الفور يشترط بهذه الرغبة وهذا الشوق شروطاً تبعث فينا الرهبة عندما يقول فى حزم « فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم » ١ تى ٣ : ٢ . وإذ يسترسل فى إحصاء الفضائل الضرورية فإنه يشرح معنى هذه الكلمة « بلا لوم » فهو يقر الرغبة لكنه يحذر الراغبين ويوصيهم وكأنه يعلن قائلا « انى أمتدح ما تبتغونه لكن لتتوهلوا أنفسكم أولا لهذه الخدمة ، لئلا إذا أهملتم الاهتمام بلباقتكم تصيرون مبغضين وملامين أكثر لأنه فى هذا تسرعون بالظهور أمام الجميع على برج الشرف .

إن بولس الرسول أستاذ فن الرعاية العظيم يشجع رعاياه بتعزيز رغبتهم ثم يمنعهم ملقياً فى قلوبهم الرهبة ويمدحه ابتغاء خدمة الأسقفية فإنه يدفعهم إلى سلوك حياة الأسقف المنشودة . ومع ذلك علينا أن نلاحظ أنه قال هذا فى وقت كان يساق فيه

كل من أقيم على رعاية الشعب إلى تعذيب الشهادة . لذلك كان كل من يبتغي الأسقفية يستحق حقاً المديح ، إذ أنه لم يكن هناك أدنى شك فى أن الأسقف سيصادف فى خدمته أقصى الضيقات . لهذا السبب أعتبرت خدمة الأسقف عملا صالحاً عندما قيل « إن اشتهى أحد الأسقفية فيشتهى عملا صالحاً » .

لذلك إن اشتهى أحد الأسقفية ـ لاسعياً وراء خدمة الأعمال الصالحة ـ بل وراء مجد هذه الرتبة فإنه يقيم الشهادة ضد نفسه وهو لا يفشل فقط فى أن يرغم نفسه على حب هذه الخدمة بل أنه يكون أيضاً جاهلا إذا هو سعى وراء السيادة الرعوية ومنى نفسه بإخضاع الآخرين فى هواجس فكره الخفية ، وتلذذ بسماع مديحه ، وشعر وكأن قلبه قد إنتفخ بالمجد . وفرح لوفرة ثروته . ان هذا الإنسان إنما يسعى وراء أمجاد العالم تحت ستار كرامة الخدمة التى كان ينبغى أن تحطم هذه الأمجاد ، وإذ يفكر العقل فى إغتصاب هذه الأسقفية التى هى أقصى درجات الإتضاع لكى يغذى كبرياءه فإنه يفسد أهم الخواص الداخليـــة (أى التواضع) لما يشتهيه خارجياً (أى الأسقفية) .

° ° °

الفصل التاسع

الذين يسعون وراء الرفعة يخدعون انفسهم فى اغلب الاحيان بوعود وهمية للقيام بأعمال صالحة

كثيراً ما يضع الذين يرغبون خدمة التعليم الرعوى ، نصب أعينهم القيام بأعمال صالحة معينة . ومع أنهم يسعون إليها لخدمة كبريائهم إلا أنهم يتوهمون أنهم سيصنعون أعمالا عظيمة حيث أن الدوافع الكامنة فى أعماقهم هى شىء وما يظهر علانية هو شىء آخر . وغالباً ما يخدع العقل نفسه بأوهام وتخيلات ويبدو وكأنه يحب الأعمال الصالحة حقاً بينما هو فى الحقيقة يمقتها ، ويتراءى يزهد فى الأمجاد العالمية بينما هو فى الحقيقة يشتهيها فيشتهى الرعاية ويخشى طلبها ، ولكن حالما يقتنيها يتجاسر ويعتقد على الفور أنه باستحقاق إقتناها . وإذ يتلذذ العقل بأساليب عالمية بمجد هذه الخدمة فإنه يتخلى بإرادته عن أفكارها الروحية . ما أحوج الإنسان عندما يحلق واهماً فى غير مستوياته العادية أن يرجع إلى نفسه فينظر إلى أعماله السابقة عندما كان من أفراد الرعية وتحت سلطان . عندئذ سيسأل نفسه على الفور وقد صار راعياً ذا سلطان هل يستطيع إنجاز ما كان يقصد أن يفعله أم لا ؟

ان الإنسان لا يقدر حتماً أن يتعلم الإتضاع وهو فى موضع الرئاسة إذا لم يكن قد أمسك عن الكبرياء عندما كان مرؤوساً.

والذى يلهث وراء المديح وهو بعيد عنه لا يعرف كيف يصده وهو قريب منه.

كما أن الذى لم تكفه موارده وهو يعول نفسه لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تتحقق له الكفاية وهو يعول كثيرين.

لذلك فليحاول كل إنسان أن يكتشف من ماضيه أى نوع من الناس هو حتى لا تخدعه هواجس فكره عندما يلتمس الرفعة.

ولكن غالباً ما يهجر الانسان الأعمال الصالحة التى كان يعملها قبل إنشغاله بالخدمة. إن القبطان الذى يفتقر إلى المهارة يستطيع أن يقود السفينة فى بحر هادىء لكن فى وسط البحر المضطرب بالأمواج العاصفة ينزعج حتى أمهر القباطنة. وما السلطة التى للمناصب السامية إلا عاصفة تهب على العقل حيث تهتز سفينة القلب على الدوام بأعاصير الأفكار وتندفع هنا وهناك بغير توقف حتى تسقط فى التعدى بالقول والفعل فتتحطم عند إصطدامها بالصخور.

أى طريق نسلكه إذاً ؟ وأى مسلك نتخذه فى وسط هذه المخاطر إن لم يتعهد أصحاب الفضيلة خدمة الرعاية ولو مجبرين ، ويبعد الذين تعوزهم الفضيلة عن الرعاية ولو مجبرين أيضاً.

ولكن إن رفض الأول باصرار فليحذر من أن يخبىء الوزنات التي أعطيت له فى منديل فيدان لاجل ذلك فهو إذ يخبىء هذه الوزنات فإنه يطرحها فى غفلة وبلادة قلب. أما الذى يشتهى الرعاية ولا يستحقها فليحذر لئلا - بقدوته الشريرة متشبهاً بالفريسيين - يكون حجر عثرة للذين يجاهدون لدخول ملكوت السموات هؤلاء كما يقول عنهم السيد المسيح « لايدخلون ولا يدعون الداخلين يدخلون » مت ٢٣ : ١٣ . وليدرك أيضاً أنه باختياره أسقفاً يكون قد أخذ على نفسه الاهتمام بالرعية فيكون كالطبيب بالنسبة للمريض ، لذلك إن كانت أوجاعه لا تزال حية فيه فبأى جسارة إذاً يسرع ليخدم المتألمين بينما هو يحمل قرحة على جبينه !!!

† † †

الفصل العاشر

أى الناس ينبغى ان يدعى للرعاية ؟

ينبغى أن يكون الإنسان المدعو للرعاية مثالا فى حياته ويميت أهواء جسده ليسلك من الآن حياة روحية تاركا وراءه أمجاد العالم ، غير هياب بالضيقات بل راغباً فى الغنى الداخلى ولا ينبغى أن يكون رجلا ذا جسد شرير يعطله عن الوصول إلى أهدافه فلا يشتهى جسده عكس ما يهدف هو إليه ، ولا تتمرد روحه على هذه الأهداف انه لا يشتهى أمتعة الآخرين بل يعطى مما له بسخاء وقلبه العطوف يجعله يغفر سريعاً ، لكنه لا يحيد عن الصواب لئلا يغفر ما لا ينبغى أن يغتفر وفى نفس الوقت يحزن على تعديات الآخرين وكأنه قد إرتكبها ، وبقلبه العطوف يرق لضعفات الآخرين ، ويسر إذا كانت أعمال رعيته صالحة كما لو كان هو الذى تقدم ونما . ويكون فى كل أعماله قدوة تدفع الآخرين حتى لا يكون هناك ما يشين سلوكه فى نظرهم . وعليه أن يرتب حياته بحيث يستطيع أن يروى جفاف قلوب الآخرين من نبع التعاليم . فهو باختباراته العملية فى الصلاة قد تعلم من قبل أن ينال من الرب كل

ما يطلبه . وكأنه قد قيل له خصيصاً بصوت التجربة « نستغيث فيقول هانذا » أش ٥٨ : ٩ .

فإذا تصادف أن تقدم إلينا شخص أخطأ فى حق إنسان عظيم لا نعرفه راجياً منا أن نشفع فيه لدى هذا الإنسان العظيم ، فإننا سنجيب فى الحال بأننا لا نستطيع أن نتشفع له لأنه لا تربطنا بهذا الرجل العظيم معرفة . فإذا كان هذا قد إستحى أن يشفع عند انسان لايعرفه فكم وكم تكون جسارة ذاك الذى يتقدم ليشفع للشعب أمام الله دون أن يتأكد أنه يتمتع بنعمة الله ! أو كيف يسأل الانسان مغفرة الآخرين وهو لايعرف إن كان قد تصالح هو مع الله أم لا !!

بقى فى هذا الموضوع سبب آخر يستدعى الخوف وهو أن هذا الذى أؤتمن على تهدئة غضب الله قد يثير هذا الغضب بأفعاله الآثيمة . فكلنا يعلم جيداً أنه إذا أرسلنا انساناً مرفوضاً ليشفع فينا فإن غضب الله الذى أخطأنا فى حقه يزداد فى حموه .

لذلك فليحذر كل المقيدون بشهوات العالم من أن يسعوا للتمتع بأمجاد هذه الرتبة فيثيرون غضب الديان العادل ويكتبون لشعوبهم الدمار .

الفصل الحادى عشر

أى الناس ينبغى ان يبتعد عن مسئولية الرعاية ؟

ليعرف الإنسان إذاً قدر نفسه حتى لا يتجرأ أحد فيأخذ لنفسه منصب الرعاية بينما لا تزال الرذيلة تسيطر عليه وتتسبب فى إدانته . فإن الذى أفسدته الآثام لا يجب أن يشفع من أجل آثام الآخرين .

لذلك قال الصوت الإلهى لموسى وكلم هارون قائلا : إذا كان رجل من نسلك من أجيالهم فيه عيب فلا يتقدم ليقرب خبز إلهه لأن كل رجل فيه عيب لا يتقدم . لا رجل أعمى ولا أعرج ولا أفطس ولا زوائدى ولا رجل فيه كسر رجل أو كسر يد ولا أحدب ولا أكشم ولا من فى عينه بياض ولا أجرب ولا أكلف ولا مرضوض الخصى » ٢١ : ١٧ - ٢١ .

الأعمى ...

الأعمى هو الذى لا يعرف ضياء التأمل السمائى . فالذى أدركته ظلمة هذا العـــالم الحاضر لا يستطيع أن يدرك النور الآتى لأنه لا يشتاق إليه . لذلك فهو لا يعرف أن يخطو أو إلى أين يمضى

ومن ثم قالت حنه النبية « أرجل أتقيائه يحرس والأشرار فى الظلام يصمتون » ١ صم ٢ : ٩ .

الأعرج ...

والأعرج هو الذى يعرف حقاً الطريق لكنه لا يستطيع أن يسير فيها بثبات بسبب نفسه العليلة ولأنه لا يستطيع أن يرتفع بعاداته القبيحة إلى مستوى الفضيلة . فإنه لا يملك القوة ليسلك تبعاً لإرادته. لذلك قال القديس بولس الرسول « قوموا الأيادى المسترخية والركب المخلعة واصنعوا لأرجلكم مسالك مستقيمة لكى لا يعتسف الأعرج بل بالحرى يشفى » عب ١٢ : ١٢ - ١٤ .

الافطس ...

الأفطس هو الذى يعجز عن التمييز ، فنحن نميز بحاسة الشم الروائح الذكية من العفنة. إن هذه الحاسة تشير حقاً لحاسة التمييز التى بها نختار الفضيلة ونرفض الرذيلة. لذلك قيل فى مدح الكنيسة العروس « أنفك كبرج لبنان » نش ٧ : ٤ . فالكنيسة المقدسة تدرك تماماً بالتمييز التجارب التى تثار عليها بأسباب متنوعة ، وتعرف مقدماً - من فوق برجها - معارك الشر المزمعة أن تحدث.

الزوائدى ...

بعض الناس ينشغلون دائماً بأسئلة فضولية أكثر من اللازم

وهم لايعترفون أنهم أغبياء ولكنهم يفرطون فى الثقة بنفوسهم لذلك أضاف الكتاب قائلا « ولا زوائدى » ومن الواضح أن الأنف الكبير المنحنى ؟ يعبر عن إفراط فى التمييز وهذا الإفراط يشوه كمال هذه الحاسة وجمالها .

كسر الرجل وكسر اليد . . .

الرجل الذى فيه كسر رجل وكسر يد هو الذى لايستطيع مطلقاً أن يسير فى طريق الله وقد تجرد تماماً من نصيب الأعمال الصالحة .فى هذا يختلف عن الأعرج الذى يمكنه - ولو بصعوبة - الإشتراك فى الأعمال الصالحة أما المكسور فقد تجرد منها تماماً.

الأحدب . . .

والأحدب هو الذى يرزح تحت ثقل الهموم العالمية فلا يمكنه أن يرفع عينيه إلى ما هو فوق بل يثبتها على موطىء الأقدام حيث أدنى الأشياء . وهو إن سمع أخباراً سارة عن مسكن الآب السمائى فإنه - تحت ثقل عاداته الشريرة - لايستطيع أن يرفع محيا قلبه ولا يستطيع حتى أن يرتفع بفكره الذى ربطته الهموم العالمية إلى الأرض . هذا الإنسان يقول عنه داود النبى المرتل « لويت أنحنيت إلى الغاية » مز ٣٨ : ٦ . ويقول الإله المتجسد عن هؤلاء رافضاً آثامهم « والذى سقط بين الشوك هم الذين يسمعون ثم

يذهبون فيختنقون من هموم الحياة وغناها ولذاتها ولا ينضجون ثمراً » لو ٨ : ١٤ .

الأكشم ...

أما الأكشم أو من على عينيه غشاوة فهو الذى بنظرته الطبيعية يضىء بمعرفة الحق لكن عينيه قد إظلمت بالأعمال الجسدية ، فالعين التى عليها غشـــاوة تكون حدقتها سليمة لكن الجفون تضعف وتنتفخ بسبب الأفرازات وتذبل بسبب سيل الدموع فتضعف حدقة العين . إن البعض تضعف بصيرتهم بسبب الحيـاة الجسدية . هؤلاء كان لهم قدرة تمييز الخير لكن بصيرتهم إظلمت بسبب إعتيادهم فعل الإثم . الذى على عينيه غشاوة هو الذى كان له بالفطرة فطنة الحواس لكنه شوهها بحياته الفاسدة . لمثل هذا يقول الملاك «كحل عينيك بكحل لكى تبصر » رؤ ٣ : ١٨ . إن كحلنا عيوننا بكحل لنبصر فإننا نقوى عيون أفهامنا بأدوية الأعمال الصالحة لتبصر بريق النور الحقيقى .

من فى عينه بياض ...

أما الذى فى عينه بياض فهو الذى حرم من معاينة النور الحقيقى بسبب عماه مدفوعاً بادعاء الحكمة والصلاح . إن حدقة العين تبصر إن كانت سوداء لكن إن كان بها بياض فهى لا تبصر شيئاً .

فمن الواضح أنه حينما يدرك الإنسان أنه أحمق وأثيم فإنه يفهم بقوى عقله مدى وهج الضياء الداخلى ، لكنه إذ يعزى إلى نفسه إشراق الحكمة والصلاح فإنه يحجز عنها ضياء المعرفة الفائق ، أما بالنسبة لكبرياء مجده الذاتى فإنه يعيث إذ يحاول إدراك بريق النور الإلهى فقد قيل عن البعض بينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء ، رو ١ : ٢٢ .

الأجرب ...

أما الإنسان الأجرب فهو الذى يسوده دائماً بطر الجسد . ففى حالة الجرب تنتشر الحرارة الداخلية على الجلد وهذه الحالة تمثل الدعارة تماماً . وهكذا عندما يترجم إغراء القلب بالأفعال فإننا نستطيع أن نقول إن الحرارة الداخلية تنتشر كما ينتشر الجرب على الجلد ، أما الأذى الظاهر الذى يلحق بالجسد فإنه يطابق هذه الحقيقة . إنه كما أن الشهوة إذا لم تخضع فى الفكر فإنها تسود بالفعل . لذلك كان بولس مهتماً بتطهيرها كما لو كانت جرباً على الجلد فقال « لم تصبكم تجربة إلا بشرية » ١ كو ١٠ : ١٣ . وكأنه يريد أن يوضح أنه كبشر لابد أن نقاسى من تجارب الفكر ولكن إن تغلبت علينا فى وسط حربنا معها واستقرت فى قلوبنا فإن هذا يكون من الشيطان .

الاكلف . . .

أما الأكلف فقد أتلف الطمع عقله فإن لم يضبط هذا الطمع فى الأمور الصغيرة فإنه سيسود على حياته كلها إن الكلف يغزو الجسد لكنه لا يسبب آلاماً وينتشـــر على المريض دون أن يضايقه، لكنه يشوه جمال الأعضاء وهكذا الطمع أيضاً إذ يملأ عقل ضحيته بالسرور إلا أنه ينجسه . وإذ يضع أمام الفكر أشياء ليقتنيها فإنه يثيره بالبغضة والعداوة . أما انه لا يسبب آلاماً فهذا لأنه يعد النفس العليلة بأشياء كثيرة وفيرة ثمناً للخطية . أما ان جمال الأعضاء يتشوه فهذا لأن الجشع يشوه جمال الفضيلة. أى أن الجسد كله يفسد حقاً إذا ملأت الرذائل نفس الإنسان لذلك يقول القديس بولس محقاً « لأن محبة المال أصل لكل الشرور » ١ تى ٦ : ١٠ .

مرضوض الخصى . . .

أما مرضوض الخصى، مع أنه لم يفعل النجاسة إلا أنه يرزح تحت نير التفكير الدائم فيها بإفراط ، ومع أنه لم يتدنس أبداً بالفعل إلا أن قلبه أفتتن بلهو الدعارة دون أى وخز للضمير. إن مرض إرتضاض الخصية يحدث نتيجة دخول سائل داخلى فى الخصية فيسبب مضايقات وتورم معيب . فمرضوض الخصى إذاً

هو الذى يترك لفكره العنان فى الأمور التى تحرك الشهوة وبذلك يحمل فى قلبه حملا دنيئاً لا تستطيع نفسه أن تلقيه عنها وهو يفتقر فى نفس الوقت إلى القوة ليرتفع بنفسه إلى التدرب العلنى على الأعمال الصالحة إذ هو يرزح تحت ثقل أعماله الفاضحة الخفية .

إذاً فليمتنع كل من به إحدى هذه العيوب التى سبق ذكرها عن تقديم خبز الرب لأنه لا يستطيع إنسان أن يكفر عن ذنوب الآخرين ما دامت نقائصه الشخصية تملك عليه .

والآن إذ أوضحنا فى هذه العجالة كيف ينبغى على الأكفاء أن يتعهدوا تدبير الرعاية وكيف ينبغى على غير الأكفاء أن يرتعبوا منها ويتجنبوها . فإننا سنوضح الآن كيف ينبغى على الذين نالوا هذه الخدمة باستحقاق أن يسلكوا فيها .

✝ ✝ ✝

الباب الثاني

حياة الراعي

الفصل الأول

السلوك الذى يجب ان يتحلى به الراعى

ينبغى أن يسمو سلوك الأسقف على سلوك الرعية ، كما تتميز حياة الراعى عن قطيعه . فالذى يستحق أن يدعى راعياً يجب عليه أن يقدر كم هو ضرورى بالنسبة له أن يحيا حياة صالحة لذلك عليه أن يكون : ـ

- ✝ طاهر الفكر .
- ✝ قدوة فى سلوكه .
- ✝ حكيماً فى صمته نافعاً فى كلامه .
- ✝ صديقاً عطوفاً لكل انسان ـ متعمقاً فى التأمل أكثر من الجميع .
- ✝ رفيقاً متواضعاً لمن يحبون حياة صالحة ـ متأهباً لنصرة التقوى ضد تعديات الخطاة .
- ✝ غير مهمل للحياة الداخلية لانشغاله بالحياة الخارجية ولا مهمل للخارجية فى غمرة إنشغاله بما هو للداخل .

ولنبدأ الآن بشرح هذه النقاط بالتفصيل بعد أن أوردناها بإيجاز .

الفصل الثانى

ينبغى ان يكون طاهر الفكر

ينبغى أن يكون الراعى طاهر الفكر دائماً لكى لا تستطيع الخطية أن تدنسه وهو الذى أخذ على عاتقه أن يعمل على تطهير قلوب الآخرين من الدنس فاليد التى تريد أن تزيل القذارة عن الآخرين ينبغى أن تكون هى نفسها نظيفة، حتى لا تزيد كل ما تلمسه قذارة بما علق بها من أوساخ، لذلك يقول النبى «تطهروا يا حاملى آنية الرب» أش ٥٢ : ١١ . فالذين يحملون آنية الرب هم الذين أخذوا على عاتقهم أن يجتذبوا نفوس الذين حولهم إلى النعيم الأبدى معتمدين فى ذلك على قدوتهم الصالحة. لذلك فعلى المسئولين عن حمل هذه الآنية الحية إلى معبد الأبدية ، أن ينظروا باهتمام إلى أى مدى يجب أن يتطهروا لهذا السبب أمر الرب بأن تثبت صدرة القضاء بأربطة على صدر هارون مشيراً بذلك إلى أن قلب الكاهن لا ينبغى أن تشغله أفكار دنسة ولكن ينبغى أن يحكم تفكيره العقل السليم ، وأنه لا يجب أن يتأمل فى أفكار غير حكيمة ولا غير نافعة ، وهو الذى يجب عليه ـ كقدوة للآخرين أن يظهر بحياته المتزنة ما هو عليه من رجاحة عقل . ومما يقترن ذكره

بصورة القضاء هى أن أسماء أسباط اسرائيل الإثنى عشر كانت تكتب عليها . فإن حمل أسماء الآباء مكتوبة على الصدر باستمرار تجعل الكاهن دائم التفكير فى حياة الذين سبقوا عندئذ يسلك الكاهن بلا لوم فى أثر خطوات الآباء القديسين الذين سبقوه متأملا حياتهم مبتعداً عن الخيالات الباطلة ، لئلا يخطو خطوة غير لائقة. وفضلا عن هذا فصدرة القضاء قد صممت بهذه الطريقة لأن الراعى ينبغى عليه دائماً أن يميز الخير من الشر وأن يكون له القدرة على الفحص بتدقيق فى كل ما هو مناسب فى ذاته ولمن ومتى يكون مناسباً .

ولأنه لايجب عليه أن يبحث عما لنفسه بل أن ينظر إلى صالح رعيته على أنه منفعة له ، لذا كتب فى هذا الشأن « وتجعل فى صدرة القضاء الأوريم والتميم لتكون على قلب هرون عند دخوله أمام الرب ، فيحمل هرون قضاء بنى اسرائيل على قلبه أمام الرب دائماً » خر ٢٨ : ٣٠ .

وحمل الكاهن لقضاء بنى اسرائيل على صدره فى حضرة الرب ، يعنى أنه يفحص أحوال رعيته طبقاً لرأى الديان العادل ولا يسمح لأى فكر جسدى بالتدخل فيما يقوله فى بيت الله ، وذلك لئلا تجعله الاحقاد الشخصية يقسو فى الاصلاح وبينما يظهر الراعى

تحميه ضد تعديات الآخرين يجب أن يعاقب نفسه على أخطائه الشخصية حتى لا تفسد إرادته الشريرة نزاهة حكمه ، أو يشوه التسرع فى الغضب هذا الحكم .

وعندما ينظر الراعى إلى الرهبة التى يبعثها ذلك الذى يحكم كل المخلوقات الذى هو الديان الأعظم لا يملك إلا أن يحس بالرهبة وهو يحكم رعاياه وبينما تعمل هذه الرهبة على إبقاء فكر الراعى متواضعاً . فهى فى الوقت نفسه تطهره حتى لا يصاب بالكبرياء الروحى أو يفسد باللذات الجسدية أو تطغى عليه الأفكار الشريرة بسبب حبه للأشياء الأرضية .

ورغم هذا فهذه الشرور يجب أن لا تجد سبيلا للوصول إلى ذهن الراعى . بل يجب عليه أن يسارع بطردها والانتصار عليها . وانه لا يدع الخطية تقهره باغرائه بمسراتها ولذاتها . فتوجه اليه ضربة مهلكة بسبب تهاونه فى صدها .

الفصل الثالث

يجب ان يكون قدوة فى سلوكه

يجب أن يكون الراعى قدوة فى سلوكه كما يعلم رعيته بحياته الشخصية كيف ينبغى أن يسلكوا، وقطيع الغنم إذ يتتبع إرشادات الراعى وتوجيهاته فإنه يسير إلى الأفضل عن طريق القدوة وليس عن طريق الكلام . فالإنسان الذى يدعو الناس (بحكم عمله) أن يكونوا مثاليين فى سلوكهم . يجب أن يعطيهم مثلا حياً للمثالية فى سلوكه هو . وبذا يكون لكلامه تأثير أعظم على سامعيه إذا كانت طريقة حياته تؤيد أقواله ، فإن القدوة الصالحة ستكون أقوى عامل فى تنفيذ أقواله ، وفى هذا يقول النبى « على جبل عالى إصعدى يا مبشرة صهيون » أش. ٤٠: ٩ . أى أن الذى يتولى التعليم السماوى يجب أن يكون قد سما بنفسه عن دنايا الأعمال الأرضية، وأن يرتفع بنفسه إلى مكانة عالية، وهو يستطيع بسلوكه الصالح فى الحياة أن ينادى بصوته من الأعالى راعياً رعاياه إلى حياة أفضل.

لهذا السبب كان الكاهن « حسب الشريعة » يتسلم الساق اليمنى للذبيحة منفصلة ليقدمها قرباناً (خر ٢٩ : ٢٢) ، فسلوك الراعى إذاً لا يجب أن يكون نافعاً فقط . بل أن يكون واضحاً أيضاً . فلا ينبغى أن يتميز عن سلوك الأشرار فقط بل أن يفوق سلوك الأبرار من رعيته أيضاً .

وكما يمتاز عليهم فى رتبته، عليه كذلك أن يمتاز عليهم فى سلوكه.

ومرة أخرى نجد أن صدر الذبيحة. وساقها يخصصان لطعام الكاهن (خر ٢٩: ٢٨). حتى يتعلم أن يكرس لله أجزاء جسمه التى تقابل الأجزاء التى أخذها من جسم الذبيحة. ولا يكفى أن يكون صدر الكاهن وقلبه مملوءان بالأفكار الصالحة بل عليه كذلك أن يدعو كل من ينظر إليه لأن يرتفع إلى مكانة نبيلة وعليه ألا يشتهى مباهج الحياة الحاضرة، وألا يخاف أية ضيقة، وأن يحتقر مديح العالم بالنظر إلى الخوف الذى يسببه هذا المديح فى ضميره، وعليه أيضاً أن يحتقر كل المخاوف بالنظر إلى المباهج التى يقدمها له ضميره.

لهذا السبب أيضاً يشد الكاهن بزنار على كتفيه لكى تحرسه الفضيلة ضد الضيقات وضد التنعم الزائد كما يقول بولس الرسول «سلاح البر لليمين واليسار» ٢ كو ٦: ٧. فبينما يهتم بالأشياء الداخلية، عليه ألا يميل إلى اللذة الوضيعة، كذلك لا يجب أن تجعله الرفاهية يتغطرس وألا تحيده الضيقات وتحزنه ولا ينبغى أن تهوّن الأمور السهلة من إرادته بل ولا تجعله الأمور الصعبة ييأس وهكذا عندما يصمد الراعى لا تضعف إرادته أمام العواطف المختلفة يظهر جمال الزنار الذى يغطى كتفه.

وبالإضافة إلى هذا، فقد إشترط أن يكون الزنار من ذهب

واسمانجونى وأرجوان وكتان رقيق (خر٢٨:٨) ، حتى يتضح لنا كيف أن الكاهن يجب أن يجمع فضائل متنوعة فالذهب فى ملابس الكاهن يفوق كل الأشياء الأخرى فى اللمعان ، وهكذا يجب على الكاهن أن يفوق الآخرين فى فهم الحكمة، والاسمانجونى اللامع الأزرق كلون السماء أضيف لكى يشير إلى أن الكاهن لا يجب أن ينزل بنفسه إلى حضيض الأشياء الأرضية ، بل أن يرتفع بها إلى حب الأشياء السمائية فى كل أمر يفكر فيه ، وعليه أن يحذر الوقوع فى فخ المديح الذى يسلبه القدرة على تمييز الحق .

ومع الذهب والاسمانجونى يوجد أيضاً الأرجوان وهذا يشير إلى أنه بينما يتأمل قلب الكاهن فى الأمور التى يعظ عنها يجب عليه أن يميت كل الرغبات الشريرة مهما كانت ضعيفة ويصدها بقوة. ناظراً إلى داخله المتجدد ، ومؤمناً حقه فى الملكوت السماوى بسلوكه فى هذه الحياة . ولقد كان بطرس الرسول يعنى هذا السمو الروحى حين قال « وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى » ١ بط٢:٩ أما عن القوة التى تغلب بها الخطية فيقول يوحنا الحبيب معضداً معزياً إيانا « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله » يو ١:١٢ . ولقد نظر صاحب المزامير إلى هذه القوة حين قال « ما أكرم أفكارك يا الله عندى ما أكثر جملتها » مز١٣٩:١٧

فإنه بالحق عندما يحتقر القديسون فى عيون الناس ترتفع عقولهم إلى أعلى المراتب. وبالإضافة إلى الذهب والاسمانجونى والارجوان نجد القرمز، الذى يرمز إلى أنه فى نظر فاحص القلوب، يجب أن يبدو لامعاً فى عيون الناس وأن يضىء أمام الله بلهيب المحبة المنبعثة من القلب، ولأن هذه المحبة تشمل الله والناس فإن لها وجهان فالشخص الذى يحب خالته وفى نفس الوقت يهمل العناية بأخيه أو ذاك الذى ينهمك فى محبة جيرانه حتى ينسى الحب الإلهى - هذان النوعان من الأشخاص لا يعرفان ماذا يعنى القرمز فى تزيين الزنار.

وكما ينتبه العقل إلى قواعد المحبة يبقى أن نذكر أن الجسد يجب أن يخضع بالزهد والتقشف وكنتيجة لهذا ذكر الكتان الرقيق مع القرمز فالكتان الرقيق يخرج من الأرض بلون لامع وماذا يعنى الكتان إلا العفاف ولمعانه إلا جمال الطهارة الجسدية. والكتان المبروم يسهم فى جمال الزنار.

فالعفاف يفضى إلى اللمعان الكامل للطهارة حينما يضعف الجسد بالزهد، وبينما تظهر فضائل الجسد المنهمك بهذه الطريقة مع الفضائل الأخرى، يلمع الكتان ويظهر جمال الزنار ذو الألوان المتعددة.

* * *

الفصل الرابع

ينبغي ان يكون الراعي حكيما في صمته نافعا في كلامه

لابد أن يكون الراعي حكيماً في صمته نافعاً في كلامه، لئلا ينطق بما ينبغي أن يبقى سراً ، أو يبقى سراً ما كان ينبغي أن ينطق به ، فكما أن عدم الحذر في الكلام يقود الناس إلى الوقوع في الخطأ فكذلك السكوت في غير محله يترك بعض الناس يقعون في الخطأ مع أنه كان يمكن إصلاحهم بالارشاد . وفي كثير من الأحيان يحجم بعض الرعاة عن الكلام وإظهار الحق، خوفا من أن يفقدوا إحترام الناس ولا يظهرون في قول الحق إخلاص الرعاة الذين يهمهم أمر القطيع بل يتصرفون كأجراء (يو ١٠ : ١٢) . فعندما يظهر الذئب يهربون ويخفون أنفسهم في صمت . ولهذا يؤنبهم الله على لسان النبي قائلا « كلهم كلاب بكم لا تقدر أن تنبح » أش ٥٦ : ١٠ ومرة أخرى يشكو منهم قائلا « لم تصعدوا إلى الثغر ولم تبنوا جداراً لبيت إسرائيل للوقوف في الحرب في يوم الرب » حز ١٣ : ٥ ومعنى الصعود إلى الثغر ومحاربة العدو هو معارضة القوات الأرضية بكلام صريح للدفاع عن القطيع والوقوف في الحرب في يوم الرب هو مقاومة الناس الأشرار الذين يحاربوننا وذلك حباً في العدل لأنه إذ جبن الراعي عن أن يقول ما هو حق فماذا يعني ذلك إلا أنه

بعدم الكلام قد أدار ظهره وهرب؟ ولكن عندما يضع نفسه في مقدمة القطيع للدفاع عنه فهذا بناء جـــدار لبيت اسرائيل ضد الأعداء .

ولهذا أيضاً قيل للناس الخطاة «أنبياؤك رأوا لك كذباً وباطلاً ولم يعلنوا إثمك ليردوا سبيك» مراثي أرميا ٢ : ١٤ . ويلاحظ أن المعلمين كانوا يسمون أحياناً أنبياء في الكتاب المقدس، لأنهم كانوا يظهرون طبيعة الحاضر ويعلنون المستقبل والله يدفعهم بالكذب لأنهم يمدحون فاعلي الشر ويبررونهم بدلاً من أن ينقذوا أخطاءهم، وذلك خوفاً منهم وهم يفشلون في إظهار خطأ الأشرار بابتعادهم عن استعمال كلمات التوبيخ . إن كلمات التوبيخ لهي حقاً المفتاح الذي يظهر الخطية التي لا يحسها فاعلها في كثير من الأحيان لهذا يقول بولس الرسول «ملازماً للكلمة الصادقة بحسب التعليم لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناقضين تي١ : ٩» ولهذا أيضاً قال ملاخي «لأن شفتي الكاهن تحفظان معرفة ومن فمه يطلبون الشريعة لأنه رسول رب الجنود» ملا ٢ : ٧ . لهذا يحذر الرب على لسان أشعياء قائلاً «ناد بصوت عال لا تمسك ارفع صوتك كبوق» أش ٥٨ : ١ . فالذي يدخل الكهنوت يأخذ منصب رسول يصيح بصوت عال ويسبق مجيء الديان العادل الذي يتبعه بمظهر

رهيب. وإذا كان الكاهن لا يستطيع أن يعظ فأى صوت يستطيع هذا الرسول الأبكم أن ينطق به ؟ لهذا السبب إستقر الروح القدس على الرعيل الأول من الرعاة على شكل ألسنة (أع ٢ : ٣) لكى يعطى قوة الفصاحة على الفور للذين يملأهم .

ولهذا قيل لموسى أنه يجب أن يتأكد من أن الكاهن حينما يدخل خيمة الاجتماع يجب أن يكون محاطاً بأجراس صغيرة (خر ٢٨ : ٣٣) للدلالة على أن الكاهن يجب أن يكون موهوباً فى الوعظ لئلا يستوجب بسكوته دينونة الله الذى يرى من فوق لأنه مكتوب « ليسمع صوتها عند دخوله إلى القدس أمام الرب وعند خروجه لئلا يموت » خر ٢٨ : ٣٥ . فالكاهن يموت إذا لم يسمع صوته عند دخوله أو خروجه ، وهذا يعنى أن الكاهن يثير غضب الديان غير المرئى إذ لم يتكلم واعظاً ومبشراً .

وقد وضعت الأجراس الصغيرة على أنها مثبتة فى الملابس . حقاً ماذا يفهم بملابس الكاهن إلا أعماله الصالحة ! فالنبى يشهد بذلك حينما يقول « كهنتك يلبسون البر وأتقياؤك يبتهجون » مز ١٣٢ : ٩ . فهذه الأجراس الصغيرة أو الجلاجل كانت تثبت فى الملابس كيما تعلن أعمال الكاهن بصوت عال عن طريق حياته فى كلامه .

ولكن حينما يعد الراعي نفسه للكلام يجب عليه أن يتوخى الحذر في كلامه لأنه إذا كان كلامه سريعاً في إلقائه ، غير منظم في ترتيبه فإن التشتيت سيفصل بينه وبين سامعيه ، لهذا السبب يقول السيد المسيح « ليكن لكم في أنفسكم ملح وسالموا بعضكم بعضاً » مر ٩ : ٥٠ . والمقصود هنا بالملح هو الحكمة في الكلام. إذاً فليحذر الذي يسعى للكلام برجاحة زائدة أن يسبب كلامه إضعافاً لوحدة سامعيه وفي هذا يقول بولس الرسول « فإني أقول بالنعمة المعطاة لي لكل من هو بينكم أن لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي بل يرتئي إلى التعقل » رو ١٢ : ٣ .

ولهذا نجد أن الرمان كان يضاف إلى الأجراس الصغيرة في ملابس الكاهن تبعاً للشريعة الإلهية (خر ٢٨ : ٣٤) . وماذا يعني الرمان إلا وحدة الإيمان فكما أنه في داخل الرمان بذور كثيرة تجمعها قشرة خارجية واحدة هكذا وحدة الإيمان تضم عدداً لا حصر له من أفراد الكنيسة المقدسة الذين ينضمون تحت لوائها وإن إختلفوا في الصفات والوظائف . لهذا لئلا يندفع الكاهن في كلامه غير واع له قال يسوع لتلاميذه « ليكن لكم في أنفسكم ملح وسالموا بعضكم بعضاً » كما لو كان يقول لهم - مستعملا رمز ملابس الكاهن. « إجمعوا الرمان بالأجراس حتى تحفظوا وحدة الإيمان بخوف وحذر في كل ما تقولون » .

يجب على الرعاة أن يتأكدوا أن شفاههم لا تخرج شيئاً شريراً وعليهم كذلك أن لا يقولوا الكلام النافع بمبالغة أو بإهمال، فغالباً ما تضيع قوة الكلام إذا ألقى فى سيل غير مناسب من الكلمات مما يضعف تأثيره على قلوب السامعين . هذا النوع من التدفق فى الحديث يضعف المتحدث نفسه كما أنه لا يأخذ فى إعتباره إحتياجات السامعين العملية . كذلك قال موسى « كل رجل يكون له سيل من لحمه فسيله هذا نجس » لا ١٥ : ٢ . فكل الأفكار التى تسيل فى عقل السامعين تعتمد على طبيعة الأمور المسموعة . إذ حينما يتقبل السمع الكلام تولد الأفكار فى العقل . لذلك دعى فلاسفة هذا العالم كبير المعلمين (بولس الرسول) « باذر الكلمة » . لذلك فإن كل رجل يكون له سيل يكون نجساً، لأنه إذ يترك نفسه لكثرة

الكلام فإنه يسىء إلى ذاته ، لكن لو نظم حديثه يولد أفكاراً روحانية فى قلوب السامعين . فى هذا يقول بولس الرسول أيضاً ناصحاً تلميذه بالعكوف على الوعظ « أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهور ملكوته ، إكرز بالكلمة إعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب » ٢ تى ٤ : ١ .

† † †

الفصل الخامس

يجب ان يكون الراعى اخا عطوفا لكل انسان سامياً عن الجميع فى تفكيره

فليكن الراعى قريباً من الجميع بعطفه عليهم ، وليسمو تفكيره على الجميع حتى يستطيع بمحبته القلبية أن يعرف نقائص رعيته ويحملها ، ويستطيع بسمو تأمله أن يتفوق حتى على نفسه فى تشوقه للأشياء غير المنظورة وإلا فإنه إما سيهمل نقائص وضعفات رعيته ويتغاضى عنها بانشغاله فى تحقيق آماله العالية ، أو على العكس يرقبك بالأمور الضعيفة ويكف عن السعى إلى ما هو أفضل فلقد إقتيد بولس الرسول إلى السماء الثالثة وتأمل أسرار الفردوس (٢كو ١٢ : ١-٦) . ولكن مع أنه أرتقى إلى تأمل الأشياء غير المنظورة فإنه عاد بعقله الرائى إلى فراش الناس الجسديين ووضع لهم قواعد لعلاقاتهم السرية قائلا «ولكن بسبب الزنى ليكن لكل واحد إمرأته وليكن لكل واحدة رجلها - ليوفى الرجل المرأة حقها الواجب وكذلك المرأة أيضاً الرجل» ١ كو ٧ : ٢ .

وأيضاً يقول «لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين لكى تتفرغوا للصوم والصلاة ثم تجتمعوا أيضاً معاً لكى لا يجربكم الشيطان لسبب عدم نزاهتكم» ١ كو ٧ : ٥ .

ويلاحظ أن بولس الرسول قد بدأ يتأمل أسرار السماء فعلا ومع ذلك فهو بمحبته المتواضعة نزل بفكره إلى فراش الناس الجسديين ، وبينما يرتفع بقلبه الراقى إلى الأشياء غير المنظورة حيث قد سما هو شخصياً اليها لكنه يعود بعطف وينظر إلى أسرار الضعفاء ، وبينما يصل إلى السماء فى تأمله ، وبينما هو فى شدة إهتمامه ، لا يتجاهل فراش الجسديين فهو إذاً قد إرتبط برباط المحبة بأعلى الأشياء وأضعفها على السواء ، ومع أن بولس قوى فى شخصه ، يحلق إلى أعلى المراتب بقوة الروح القدس إلا أنه سر فى عطف أن يكون ضعيفاً مع الآخرين فى ضعفهم .

لهذا يقـــول « من يضعف وأنا لا أضعف من يعثر وأنا لا ألتهب » ٢كو١١: ٢٩. ويقول أيضاً « صرت لليهود كيهودى » ١كو ٩ : ٢٠ . وهو قد فعل ذلك ليس عن طريق ترك إيمانه بل بتوسيع مكان محبته . وهكذا قصر بتقمصه شخصية غير المؤمن أن يتعلم كيف يعطف على الآخرين وأن يمنحهم ما يود أن يمنحونه إياه لو كان فى مكانهم ولهذا يقول أيضاً « لأننا إن صرنا مختلفين فلله أو كنا عاقلين » ٢كو٥ : ١٣ .لأنه كان يعرف كيف يتفوق على نفسه بالتأمل وكيف يضبط نفسه بالنزول إلى مستوى سامعيه .

وهكذا رأى يعقوب الرب واقفاً على رأس السلم النازل من

السماء إلى الحجر الذى صب عليه الزيت ، وكانت الملائكة صاعدة ونازلة عليه، تك ٢٨: ١١-١٨. وفى هذا درس للمعلمين الحقيقيين إذ لا يجب عليهم أن يكتفوا بالنظر إلى الرأس المقدسة للكنيسة بل عليهم أن ينزلوا إلى أعضاء الكنيسة ويتعطفوا عليهم .

وهكذا كان موسى يدخل ويخرج كثيراً فى خيمة الاجتماع وكان عند وجوده بداخلها يسمو فى التأملات وعند وجوده فى الخارج يكرس نفسه لخدمة الضعفاء فهو فى الداخل يتأمل فى الأمور الإلهية الحقيقية ، وفى الخارج يتحمل أعباء الناس ، وفى الأمور المشكوك فيها كان يرجع إلى خيمة الاجتماع ليستشير الله أمام تابوت الشهادة .

وهكذا يضرب موسى مثلا حسناً للرعاة حتى إذا لم يستطيعوا التصرف فى أمر من الأمور الدنيوية وجب عليهم الرجوع إلى التأمل (إلى داخل خيمة الاجتماع) وهناك كما لو كانوا واقفين أمام تابوت العهد لاستشارة الله ، حيث يمكنهم أن يجدوا حلا لمشاكلهم فى صفحات الكتاب المقدس.

وهكذا يسوع (كلمة الحق) الذى أعلن ذاته لنا فى شكل طبيعتنا البشرية ، كان يصلى على الجبل ثم يخرج يصنع المعجزات مع الناس (لو٦ : ١٢) ولهذا يرينا الطريق الذى ينبغى أن يسلكه

الرعاة الأمناء الذين لاينسون فى غمـــرة إنشغالهم بالتأمل أن يشاركوا بعطفهم الآخرين فى إحتياجاتهم وعندئذ ترتفع المحبة إلى درجة عالية عندما تستدر تصرفات الرعية الضعيفة العطف وبقدر ما تزداد نقائص الذين ينزل اليهم الكاهن بقدر ما يزداد إرتفاع وسمو محبته .

وعلى الرعاة أن يحفظوا أسرار الرعية (إعترافاتهم) - عندئذ تستطيع الرعية عندما تمر بهم التجارب أن يلجأوا إلى فهم الراعى كما إلى صدر أم حنون وبواسطة الراحة التى تبعثها كلماته المعزية وصلواتهم المصحوبة بالدموع يستطيعون أن يتطهروا عندما يرون أنفسهم وقد تدنسوا بالخطية التى سقطوا فيها .

لهذا أيضاً كان أمام أبواب هيكل سليمان « بحر » من النحاس الأصفر لغسل أيدى الذين يدخلون إلى الهيكل وكان هذا الحوض محمولا على إثنى عشر ثوراً يمكن رؤية وجوهها بوضوح ولكن اعجازها غير ظاهرة ماذا تعنى الإثنى عشر ثوراً إلا كمال النظام الرعوى ؟ عن هذا يقول الناموس كما يقرر بولس « لأنكم ثوراً دارساً »(١كو ٩: ٩ ، ١تيم ٥: ١٨ . مأخوذة أصلا من تث٢٥: ٤) فنحن نرى الأعمال التى يقوم بها الرعاة علانية ولكننا لا نرى الباقى الذى سيسجل لهم فى الحساب السرى الذى للديان العادل .

وهؤلاء الذين أعدوا أنفسهم بتواضع وصبر ليطهروا الخطايا التي تعترف بها رعيتهم إنما هم في الواقع يحملون المغسل أمام باب الهيكل - إذاً فعلى كل من يريد أن يدخل من باب الأبدية أن يفضي بخطاياه إلى الكاهن ويطهر أيدي الفكر والعمل في الحوض القائم على الثيران .

ويحدث كثيراً أنه بينما ينزل الراعي بفكره تجارب الغير ، تهاجمه هو نفسه شخصياً الأخطاء التي يصغي بسمعه إليها، كما يحدث في حالة المغسل ، الذي يتلوث بينما يطهر الناس بواسطته ، فهو يستقبل أقذار الناس الذين يغتسلون فيه ويتلوث ويفقد صفاءه، ولكن على الراعي ألا يخاف هذه الأمور على الأطلاق ، لأنه حيث أن الله يزن الأمور بدقة، فالراعي ينجو من الأغراء بسهولة أكثر كلما زادت معرفته بالاغراءات التي يتعرض لها الآخرين .

† † †

الفصل السادس

يجب ان يكون الراعى فى تواضعه رفيقا بمن يحيون حياة صالحة وفى غيرته صارما مع فاعلى الشر

ينبغى أن يكون الراعى متواضعاً رفيقاً بمن يحيون حياة صالحة ، وعليه كذلك أن يكون حازماً ضد فاعلى الشر وعليه ألا يتعالى على فاعلى الخير . كذلك عليه أن يظهر قوة سلطانه فى الحال حينما تستدعى خطايا الأشرار ذلك . وعليه أن يترك رتبته جانباً ويعتبر نفسه مساوياً لأصحاب الحياة الفاضلة وفى نفس الوقت عليه ألا يتردد فى تنفيذ قوانين الإصلاح ضد الأشرار والمعاندين .

إنى أذكر ما قلته فى « الكتب الأخلاقية » أن كل الناس خلقوا بطبيعتهم متساويين فى البداية بينما تسببت الخطية فى تقسيمهم إلى طبقات حسب أهوائهم المختلفة وهذا التقسيم إنما هو حكم إلهى فهناك رجل يحكم آخر حيث أنه لا يمكن أن يكون جميع الناس على قدم المساواة .

لهذا السبب لا يجب أن ينظر أصحاب السلطان إلى قوة سلطانهم ولكن إلى الطبيعة المساوية بين البشر وعليهم ألا يجدوا لذتهم وسرورهم فى التحكم فى الناس ولكن فى مساعدتهم لأننا نعلم أن

آبائنا الأولين لم يكونوا ملوكاً بل رعاة غنم وعندما قال الله لنوح وأولاده « أثمروا واكثروا واملأوا الأرض » تك ٩ : ١ . أضاف على الفور قائلا « ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض . إن الخشية والرهبة فرضت على كل حيوانات الأرض، ولكن ليس على الناس . والإنسان بطبيعته يمتاز عن الحيوانات ولكن ليس على الناس الآخرين، ولهذا قيل له أنه سيكون مرهوباً من الحيوانات ولكن ليس من الناس. ومن الواضح أن الخوف من شخص معناه سيادة هذا الشخص على الآخرين وهذا ضد النظام الطبيعي .

ومما يؤسف له أن الرعاة كثيراً ما يسقطون فى الكبرياء نتيجة على الآخرين ، فعندما يرى الراعى أن كل أوامره فى الخدمة تنفذ بسرعة حسبما يريد ، والرعية كلها تمدحه على حسن تصرفه وهى لا تملك نقد تصرفاته الخاطئة بل إنها تمدحه حيث كان يجب أن تذمه . إذ يرى الراعى كل ذلك يتصلف قلبه الذى ضل الطريق لسوء فهم رعيته . وبينما هو محاط فى الخارج بمظاهر الاحترام يكون قلبه خالياً تماماً من الحق ، وهو بعيد عن الحق إذ يتناسى قدر ذاته ، وهو ينصت إلى مديح الآخرين مؤمناً بما يقوله الناس عنه ، وليس بما ينبغى أن يحكم به هو على نفسه فى باطنها ، فى كل

هذا يظن أن أفراد الرعية أقل شأناً منه وغير مساوين له حسب النظام الطبيعي ، معتقداً بأنه يمتاز بميزات شخصية فى حياته عن أولئك الذين يفوقهم بحكم مركزه وهكذا يعتقد أنه أحكم جميع الناس لأنه يفوقهم فى السلطان وأنه على جانب عظيم من الرفعة فى عيني نفسه ، ومع أن هناك حدوداً تفرض المساواة فى الطبع البشرى فإنه يكره ، أن ينظر إلى الآخرين على أنهم متساوين معه. وهو فى هذا يجعل نفسه شبيهاً بمن يقول عنه الكتاب المقدس «يشرف على كل متعال . هو ملك على كل بنى الكبرياء» أى ٤١ : ٣٤ ومثل ذلك الذى نظر إلى الكبرياء الذاتى واحتقر الحيـــاة مع الملائكة قائلا « وأجلس على جبل الاجتماع فى أقصى الشمال ، وأصعد فوق مرتفعات السحاب ، وأصير مثل العلى » أش ١٤ : ١٣. وبينما هو فى الخارج يرفع نفسه إلى قمة المجد والقوة كان فى الباطن يحضر هاوية سقوطه ، إن الانسان يصبح كالملاك الجاحد حينما يحتقر كونه مثل بقية الناس رغم أنه إنسان عادى فعلا .

هكذا تعظم شاول بعد أن كان معروفاً بتواضعه وأصابه الغرور بسبب عظم قوته . لقد إختاره الله للخدمة عندما كان متواضعاً ، ورفضه عندما صار متصلفاً . إن صموئيل النبى يقول له « أليس إذ كنت صغيراً فى عينيك صرت رأس أسباط إسرائيل ومسحك

الرب ملكا . . . لأنك رفضت كلام الرب رفضك من الملك » ١ صم ١٥ : ١٧ . فى بدء ملكه كان يرى نفسه شخصاً صغيراً فى عينى نفسه ولكن عندما إعتمد على القوة الزمنية نظر إلى نفسه على أنه أفضل من الآخرين وأعظم من الكل . والحقيقة العجيبة أنه بينما كان صغيراً فى عينى نفسه كان عظيماً عند الله ، ولكن عندما ظن فى نفسه أنه عظيم أصبح صغيراً عند الله .

وعادة عندما يعظم فكر الانسان بفعل كثرة أفراد الرعية الذين يحكمهم يفسد ويتدنس ويصيبه الغرور بفعل عظمة قوته فيفسد عقله . ولكن هذه القوة يمكن أن يتحكم فيها الانسان إذا عرف كيف يستعملها وكيف يصدها . والعقل الانسانى معرض للاصابة بالغرور حتى ولو كان لا يملك القوة . فكم وكم إذا كان يملكها ، والذى يستطيع توجيه قوته توجيها صحيحاً . هو الذى يعرف يحصل بواسطتها على ماهو نافع ، وكيف يقاوم الاغراءات التى تسببها ، وكيف يحقق المساواة مع غيره رغم إمتلاكه القوة وفى نفس الوقت يعرف كيف يرتفع بنفسه عن الشرق مجازياً المجـــدفين .

إن هذا يتضح لنا أكثر عندما نتأمل الأمثلة التى قدمها بطرس الرسول الذى رفض الاحترام الزائد من كرنيليوس قائد المئة ،

الإصلاح تذكر على الفور أنه سيد ومعلم وقال ماذا تريدون ، أبعصا آتى اليكم ؟ ١ كو ٤ : ٢١ . فالسلطان الذى يتمتع به صاحب المنصب العظيم يجب أن يستخدم ضد الشر وليس ضد الاخوان ، وعندما يحاول الرعاة إصلاح رعاياهم المنحرفين يجب عليهم أن يتميزوا بالتواضع حتى لاينحرفوا فى إستخدام سلطتهم وعليهم أن يحسوا بمساواتهم للأخوة الذين يصلحونهم وعلينا أن نتدرب فى صمت وتأمل وأن نفضل الأشخاص الذين يصلح أخطائهم عن أنفسنا . لأن خطاياهم تصلح عن طريقنا ، أما خطايانا كرعاة فلا يوبخنا أو حتى ينتقدنا عليها أى شخص ولذا يزداد إثمنا أمام الله كلما أخطأنا ولم نعاقب من الناس ـ وطقسنا يحرر الرعية من الدينونة الإلهية لأنه يدين الرعية على أخطائهم هنا فى العالم .

لهذا يجب أن يسود التواضع فى القلب ، والنظام فى العمل ، وبين هذين يجب أن نحذر من التهاون فى حقوق الحكم نتيجة للاغـــراق الزائد عن الحد فى التواضع لأنه إذا حط الشخص المسئول من نفسه بدون داع فقد لايستطيع أن يحفظ حياة الرعية فى دائرة النظام .

لذلك فليكن تصرف الرعاة الخارجى حسب ما يرونه واجباً

ومع أن كرنيليوس تصرف تصرفاً صحيحاً فى سجوده باتضاع، ولكن بطرس نظر اليه كشخص مساو له عندما قال « قم أنا إنسان » أع ١٠ : ٢٦ .

ولكنه عندما إكتشف خطية حنانيا وسفيره أظهر فى الحال سلطانه وقضى على حياتهما إذ كشف سرهما بروحه الناقدة (أع ٥ : ٣-٥) .فلقد تذكر مباشرة أنه صاحب سلطان الكنيسة عند مقاومته للشر ولكن لم يخطر فكر كهذا على باله وهو فى وسط إخوانه الأبرار من الرعية مع أنهم كانوا يجلونه . ففى الحالة الأولى نرى أن السلوك الصالح يقابل بتأكيد المساواة بين الجميع وفى الحالة الثانية نجد أن الرغبة فى المجازاة بالعدل أظهرت مدى السلطة . وبولس الرسول لم يظهر أى شعور بالعظمة أو الامتياز عن إخوانه الأتقياء عندما قال « ليس أننا نسود على إيمانكم بل نحن مؤازرون لسروركم...لأنكم به بالإيمان مثبتون» ٢ كو١ : ١٣ .كما لو كان يقول « نحن مساوون لكم فى الإيمان، ونحن لا نتسلط على إيمانكم » بل وأكثر من هذا يضع بولس نفسه أمام رعيته حين يقول «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع رباً ... ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع » ٢ كو ٤ : ٥ . . . ولكن عندما أكتشف خطأ يستوجب

لخدمة الآخرين وليحفظوا فى داخلهم الخوف بالنسبة لأنفسهم ، ومع ذلك فلتتأكد الرعية أن الحكام متواضعون داخلياً أمام أنفسهم وهكذا يجب على الرعية أن تعرف ما ينبغى أن تخافه من السلطة ، وما ينبغى أن تقلده فى محيط التواضع .

وعلى الرعاة أن يتذكروا دائماً أنه بقدر ما يعظم مظهرهم الخارجى بقدر ما يجب إخضاع نفوسهم داخلياً . فالسلطة لا ينبغى أن تسيطر على التفكير ، ولا أن تأسر العقل وإلا عجز العقل عن التحكم فى هذه القوة وخضع لها بسبب حبه للسيطرة والسيادة . وفى هذا قال أحد الحكماء « إن أقاموك حاكماً لا ترتفع ولكن بنسلك بين الرعية لواحد منها » . كذلك يقول بطرس الرسول « ولا كمن يسود على ... بل صائرين أمثلة للرعية » ١ بط ٥ : ٣ .

ويقول رب الحق داعياً إيانا إلى المزايا السامية للفضيلة : أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون فلا يكون هذا فيكم . بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن خادماً . ومن أراد أن يكون فيكم أولا فليكن عبداً . كما أن ابن الانسان لم يأتِ ليخدم بل يخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » مت ٢٠ : ٢٥ - ٢٨ . لهذا أشار الرب إلى العقاب الذى ينتظر الخادم الذى يتكبر فى القدر الذى أعطى له من السلطة

قائلا ، ولكن إن قال ذلك العبد الردى فى قلبه سيدى يبطىء قدومه . فيبتدى يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى. يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لاينتظره وفى ساعة لا يعرفها فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين هناك يكون البكاء وصرير الانسان ، مت ٢٤ : ٤٨ - ٥١ . فالرجل الذى يستغل سلطة الحكم لفرض السيادة يدعى بحق منافقاً .

ولكن فى بعض الاحيان تتولد شرور أكثر عندما يقابل الأشرار بسياسة المساواة وليس بالنظام والعدل . ومثال ذلك عالى الكاهن الذى تغلبت عليه العاطفة فى غير اتجاهها الصحيح فإذ لم يرغب فى تأديب ولديه المخطئين مات هو وولديه بحكم الديان العادل كالقول الإلهى ، وتكرم بنيك على ، ١ صم ٢ : ٢٩ . وقد وبخ النبى الرعاة قائلا ، والمكسور لم تجبروه والمطرود لم تستردوه ، حز ٣٤ : ٤ . ويمكن إرجاع المطرود مرة ثانية إلى حياة الصلاح بعد سقوطه فى الخطية وذلك بفعل الرعاية الكهنوتية . فعندما تسود الرعاية والنظام على الخطية يكون ذلك أشبه بضمادة تربط جرحاً ، وقد يستمر الجرح فى النزيف ويفضى إلى الموت كنتيجة لعدم وجود ضغط محكم يربطه ، ولكن يحدث أحياناً أن تسوء حالة الجرح بسبب تضميده بضمادة غير متقنة . إذ أن

الجرح يسبب آلاماً أكثر بربطه بشدة أكثر من اللازم لذا يجب عند تضميد جرح الخطية أن يكون الرباط معتدلا حتى لا ينعدم الشعور بالرحمة كنتيجة للطريقة التى تطبق بها مبادىء الرعاية على الخاطىء . فعلى الراعى أن يظهر لرعيته الحنان كأم حنـــون . ويصلحهم كأب . وفى كلتا الحالتين يجب أن يطبق العلاج بحذر وعناية لئلا يكون نظام الرعاية صارماً أكثر من اللازم أو اللين أكثر مما يجب .

والنظام والعطف يكونان كلاهما ناقصين إذا طبق كلا منهما على حـدة . وعلى الحـكام فى علاقاتهم بالمحكومين أن يـكونوا مدفوعين بالشفقة فى الوقت المناسب، وبالشدة والنظام الممزوجين بالمحبة وهذا ما يعلمنا إياه الحق الإلهى فى مثل السـامرى الصالح الذى حمل الرجل المشرف على الموت وأوصله للفندق ووضع على جروحه الخمر والزيت ، والخمر ليحرقها والزيت ليلطفها . وهكـذا كل من يشفى الجروح يسبب ألماً شـديداً بالخمر ويلطفها بالزيت لأن الخمر يطهر الجروح والزيت يساعد على إلتئامها . وبعبـارة أخرى ينبغى أن تخرج الرقة بالشـدة . بحيث لا تضيق الرعيـة بالقسوة الشديدة ولا تضعف بسبب اللين الزائد ـ وقد رمز إلى هذا ـ كما يقول بولس الرسول بثابوت الشهادة الذى كان فيه ـ

إلى جانب لوحى الشهادة ـ العصا والمن . لأنه إذا أستعملت العصا للتأديب فى معرفة كلمة الله المكتوبة فى لوحى الشهادة يجب أن يكون هناك المن اللذيذ بجانبها . لنا يقول داود النبى « عصاك وعكازك هما يعزيانى » مز٢٣ : ٤ . إننا نضرب بالعصا ولكننا نستند على العكاز ـ فإن كانت العصا ستضرب لكيما ما تصلح وجب أن يكون هناك عكاز لكيما يسند ويعزى .

ينبغى أن يكون هناك الحب الذى لا يفتر والقوة التى لا تعثر والغيرة غير المتطرفة التى يمكن التحكم فيها والحنان الذى يتغاضى عن الهفوات ولكن فى حدود المعقول وهكذا إذ يمتزج العدل والرحمة فى الحكم يمكن للحاكم أن يبعث السكينة فى قلوب الرعية حتى ولو كان يثير الرهبة ، فهو يبعث الطمأنينة فى نفوسهم ولكنه يحملهم فى نفس الوقت على إحترامه ورهبته .

† † †

الفصل السابع

الراعي في اهتمامه بالامور الخارجية لا ينبغي ان يهمل الحياة الداخلية ولا ان يهمل الخارجية باهتمامه بالداخلية

لا ينبغي للراعي أن يقلل من إهتمامه بالحياة الداخلية بسبب إهتمامه بالأمور الخارجية ، ولا ينبغي كذلك أن يكون إهتمامه بالحياة الداخلية سبباً في إهماله لشئون الرعاية الروحية ، لئلا ينغمس فيما هو خارجي فيهمل داخلياً أو يحصر نفسه فيما يختص بالداخل فقط وينسى أن يمنح إخوته الرعاية اللازمة .

ففي كثير من الأحيان ينسى بعض الرعاة أنهم قد أعطوا سلطاناً على إخوتهم ليعملوا على خلاص نفوسهم ، فيكرسون أنفسهم بكل ما لهم من قوة لمشاغلهم العالمية ، ويتفرغون لهذه المشاكل طالما كانت موجودة أمامهم ، فإذا لم تكن موجودة فإنهم يلهثون وراءها ليلا ونهاراً بعقل قلق ومضطرب ، وحتى عندما تنقضي المناسبات التي تستدعي وجود هذه المشاكل فإن فكرهم يظل منشغلا بها . إنهم يسرون بانشغالهم بها ولا يرتاحون إلا إذا هم كدحوا فيها . هؤلاء يسرون بانشغالهم بالمشاغل العالمية ويهملون الأمور الداخلية التي كان ينبغي أن يعلموها للآخرين .

ولهذا تزيد حياة الرعية فتوراً رغم أنهم يريدون أن ينمو فى الروحيات ، بسبب إصطدامهم بحجر العثرة وهو قسوة رعاتهم .

فالرأس إن وهنت فقدت الأعضاء قوتها ، ومن العبث حينما يشتبك جيش مع قوات الأعداء أن يتبع الجنود قائدهم الذى ضل الطريق، حينئذ لا يستطيع النصح أن يهذب النفوس، ولا التوبيخ أن ينتهر آثامهم وإذا تحول راعى النفوس إلى قاضى أرضى فإن القطيع لا يستطيع أن يعاين النور الحقيقى وعندما ينشغل عقل الراعى بالهموم الأرضية فإن الغبار الذى تثيره ريح التجارب يعمى عيون المؤمنين وعلى العكس من ذلك قال مخلص البشرية ناهياً إيانا عن الشهوات « فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم فى خمار وسكر » ويضيف بعد ذلك مباشرة « وهموم الحياة » وفى نفس المناسبة أضاف عامل الخوف قائلا « فيصادفكم ذلك اليوم بغتة » وقد أعلن طبيعة هذا اليوم فقال «لأنه كالفخ يأتى على جميع الجالسين على وجه الأرض » لو ٢١ : ٣٤ - ٣٦ . ولنفس السبب قال أيضاً « لا يقدر خادم أن يخدم سيدين » لو ١٦ : ١٣ .

لذلك يحذر بولس الرسول النفوس الأتقياء من شركة العالم، وهو لا يكتفى بدعوتهم لذلك فقط ، بل يجندهم أيضاً فيقول «ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكى يرضى من جنده »

٣ تى ٢ : ٤ . لأجل ذلك يأمر الرسول رعاة الكنيسة أن يهدفوا إلى تحرير أنفسهم من هذه الأشياء وهو يشير فى مشورته إلى العلاج فيقول «فإن كان لكم محاكم فى أمور هذه الحياة فاجلسوا المحتقرين فى الكنيسة قضاة» ١ كو ٦ : ٤ .

أى أن الأشخاص الذين لم يتحلوا بالمواهب الروحية عليهم تدبير الشئون العالمية ، فهو يريد أن يقول توضيحاً لذلك « بما أن هؤلاء لا يمكنهم إدراك الأمور الداخلية فلا أقل من أن يشغلوا أنفسهم بالشئون الخارجية ومن ثم فإن موسى كليم الله قد لامه يثرون الرجل الغريب الجنس لأنه كرس نفسه لشئون الشعب الأرضية » حز ١٨ : ١١٧ وقد أشار عليه فى نفس الوقت أن يعين أناساً آخرين بدلا منه ليقضوا فى المنازعات حتى يتفرغ هو لتعلم أسرار الأمور الروحية وتلقينها للشعب .

إذاً فعلى الرعية أن تقوم بالأمور الصغيرة وعلى الرعاة أن يضطلعوا بالأمور الهامة حتى لا يتسبب الغبار الأرضى فى إظلام العين التى نصبت عالياً لترشد الخطى . فإن الرعاة جميعاً هم رؤوس للرعيـــة ويتحتم على الرأس أن تتطلع إلى الأمام من فوق حتى تستطيع الأقدام السير للأمام فى طريق مستقيم أما إذا أعوجت هيئة الجسم المستقيمة وانحنت الهامة حتى الأرض ، تثاقلت الأرجل فى سيرها فى طريق التقدم .

فكيف يسمح ضمير الراعى له بالتمتع بكرامة الكهنوت عند الآخرين إن كان هو قد إنشغل بالأمور الأرضية التى كان عليه أن يوبخ الآخرين بسببها؟ هذا هو حقاً ما توعده الرب فى غضب مجازاته العادلة بالنبى القائل «فيكون كما الشعب هكذا الكاهن» هو ٤: ٩. ويستوى الكهنة القائمون على الخدمة الروحية والشعب عندما تكون أعمالهم كأعمال الذين يسعون وراء كل ما هو جسدى. فقد تأمل أرميا النبى فى هذا وأظهر فى جزعه على خراب الهيكل حزن محبته العميق فقال «كيف أكدر الذهب تغير بالإبريز الجيد» إنهارت حجارة القدس فى رأس كل شارع» مراثى أرميا ٤: ١. وماذا يقصد بالذهب الذى يفوق كل المعادن الأخرى إلا سمو القداسة؟ وماذا يقصد بالإبريز الجيد إلا الاحترام الذى نكنه؟ نعم ماذا تعنى حجارة القدس إلا أصحاب الرتب المقدسة؟ وماذا يقصد بكلمة شوارع إلا سعة هذه الحياة؟ والحق الإلهى نفسه يقول «لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك» مت ٧: ١٣. إن الذهب يتكدر عندما تفسد الحياة المقدسة بالأعمال الأرضية ويتغير الإبريز الجيد عندما يقل تقدير الناس لهؤلاء الذين كان يظن أنهم أتقياء. فعندما ينشغل إنسان بالأمور الأرضية ويترك حياة القداسة تنقص كرامته وتتكدر وكأن

بريقه قد بهت فى عيون الناس وكأن بحجارة القدس تنهال فى الشوارع عندما يهتم الرعاة الذين كان ينبغى عليهم أن يشغلوا أنفسهم بالاسرار الداخلية لزينة الكنيسة - أى أسرار تابوت العهد - عندما يهتم هؤلاء فى طرق العالم الواسعة . ومن الواضح أن أحجار القدس كانت تظهر فى حلة رئيس الكهنة فى قدس الأقداس لكن إذا كان سلوك خدام الدين لايجعل الرعية يقدمون كرامة لخلاصهم فإن أحجار القدس لا تكون فى ثوب رئيس الكهنة وتنهال هذه الأحجار حقاً فى الشوارع عندما يسلم أصحاب الرتب المقدسة أنفسهم إلى ملذاتهم الخاصة ويلتصقون بالامور الأرضية .

وينبغى أن نلاحظ أيضاً أنه قد قيل هذه الحجارة لم تنهال فقط فى الشوارع بل فى رؤوس الشوارع أيضاً وهذا يعنى أنه حينما ينشغل الرعاة فى الأمور العالمية فإنهم يحبون التواجد على رؤوس الشوارع حتى يتحكموا فى الطرق الواسعة التى تؤدى إلى ملذاتهم وفى نفس الوقت يكونوا عند رأس الشارع بالمظهر الخارجى للتقوى .

وليس هناك ما يمنعنا من أن نفهم أن هذه الحجارة هى الحجارة التى بنى منها المقدس فهى تكون مبعثرة فى الشوارع

عندما ينغمس رجال الدين - الذى كان مجد القداسة يتجلى فى مناصبهم المقدسة من قبل - عندما ينغمس هؤلاء فى الأمور العالمية . لهذا ينبغى على الراعى أن يضطلع بعبء المشاغل العالمية ولكن عليه ألا يسعى ورائها أبداً بدافع من الحب لها، خوفاً من أن تسيطر على ذهن الشخص المرتبط بها فينوء بثقلها ويهبط إلى الأعماق بعيداً عن الاهتمامات السماوية .

وعلى العكس من ذلك يضطلع البعض برعاية القطيع ولكنهم يرغبون فى التفرغ للأمور الروحية تماماً بحيث لا يعطوا وقت للأمور الخارجية ، وأمثال هؤلاء لا يقدمون أى معونة لرعاياهم وبإهمالهم ما يختص بالجسد ولهذا لا غرو إذا كان وعظهم غالباً ما يهمل لأنهم بعد إعطائهم الرعية ضروريات الحياة الحاضرة لا تجد كلماتهم تجاوباً من السامعين والتعليم لا يصل إلى ذهن من يحتاجون إليه إذا لم يوصله قلب عطوف إلى قلوب السامعين ، وبذرة الكلمة تنمو جيداً فى قلب السامع إذا رواها عطف المتكلم فعلى الراعى إذا أراد أن يزرع فى الداخل - أن يهتم بالخارج - إذا أن يكرسوا كل جهدهم للحياة الداخلية لرعيتهم ولكن دون أن يهملوا ما هو للحياة الخارجية أيضاً .

وكما سبق أن قلت أن للرعية العذر إذا لم يقبلوا كلام الواعظ

بسبب إهمال الراعى فى واجب تقديمه المعونة الخارجية . وفى هذا أعطانا بطرس الرسول تعليمه الجاد قائلا « أطلب إلى الشيوخ الذين منكم أنا الشيخ رفيقكم والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يعلن . أرعوا رعية الله التى بينكم » ١بط ٥ : ١ .

وهو هنا يوضح ما إذا كان يعنى رعاية القلب أو رعاية الجسد عندما يضيف « نظاراً لا عن ـ اضطراراً بل بالإختيار ولا لربح قبيح بل بنشاط » وفى هذا نوع رقيق من التحذير للرعاة لئلا يطعنوا أنفسهم بخنجر الطموح وهم يرضون رغبات رعيتهم ولئلا يبقوا محرومين من خبز الصلاح بعد أن يكونوا قد قدموا لإخوتهم المعونة الجسدية ويذكر بولس الرسول هذا الاهتمام الرعوى عندما يقول « وإن كان أحد لا يعتنى بخاصته ولاسيما أهل بيته فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن » ١ تى ٥ : ٨ . لهذا يجب عليهم فى مثل هذه الأمور أن يكونوا دائماً خائفين ومتيقظين لئلا يبتعدوا عن أهدافهم الروحية فى غمرة إنشغالهم بالمشاغل الخارجية ـ لأنه كما قلت ـ كثيراً ما يحدث أن تنشغل قلوب الرعاة فى غفلة منهم بالمشاغل العالمية فيتغير حبهم الداخل وينغمسوا فى الأمور الخارجية ويتجاهلوا أنهم قد أخذوا على عاتقهم توجيه النفوس ـ ونتيجة لهذا تكون رعايتهم المقصورة على الناحية الخارجية فى حدود ضيقة .

لهذا قال حزقيال عن الكهنة « ولا يحلقون رؤوسهم ولا يربون خصلا بل يجزون شعر رؤوسهم جزاً » حز ٤٤ : ٢ . لأن الرعاة الحقيقيين هم الذين يتولون رعاية المؤمنين لإرشادهم إلى الأمور المقدسة . فالشعر على الرأس هو الأفكار المتعلقة بالأمور الخارجية وعندما تطغى هذه بغزارة على العقل فإنها تدل على أن مشاغل الحياة الحاضرة تنمو أكثر من اللازم بسبب عدم الاهتمام وتزيد ونحن غير شاعرين بها فإذا كان كل من له سلطة على الآخرين يجب أن يهتم بالأمور الخارجية ولكن دون أن ينشغل بها أكثر من اللازم ، فلهذا منع الرعاة من أن يحلقوا شعر رؤوسهم تماماً أو يتركوه لينمو ، حتى لاينسوا الاهتمامات الجسدية لرعاياهم ولا يسمحوا لها كذلك بأن تشغلهم أكثر مما يجب ولهذا أمروا أن « يجزوا شعر رؤوسهم جزاً » أى يهتموا بالأمور الجسدية بالقدر اللازم ولكن ليس أكثر مما يجب . بهذا نؤمن الحياة الجسدية بالاهتمام بما هو خارجى ولا يمنع ذلك الاهتمام بما هو للقلب ، فالشعر على رأس الكاهن يبقى لكى يغطى الجلد ولكنه يقص بحيث لايغطى العينين .

✝ ✝ ✝

الفصل الثامن

يجب على الراعى الا يهتم اهتماما زائدا بارضاء الناس ولكن عليه ان يرضيهم

لابد أن يحرص الراعى على ألا يكون مدفوعاً بالرغبة فى إرضاء الناس حتى لايهتم بكسب حب رعاياه أكثر من إهتمامه بالحق، ولئلا يجعله حبه لنفسه غريباً عن خالقه بسبب إعتماده على أعماله الحسنة واعطائه لنفسه مظهر الغريب عن العالم .

والشخص الذى يهدف بأعمـــاله الطيبة إلى كسب حب الكنيسة (المؤمنين) أكثر من حب الله إنما هو عدو لخلاصه . والخادم الذى يرسله العريس . بهدايا لعروسه يخطىء بفكره إذا أراد أن يسر عينى العروس . وعندما يتملك حب النفس من ذهن الراعى فإنه يدفعه إلى التراخى والتساهل الزائدين أو إلى الخشونة والقسوة . فمحبة الراعى لنفسه قد تدفعه إلى التراخى والتساهل إذا رآهم يخطئون ولم يجرؤ على إصلاحهم لأنه يخشى أن يضعف حبهم له وكثيراً ما يتغاضى عن خطاياهم ويتملقهم بدلا من أن يوبخهم عليها ولذا قال النبى « ويل للراعى يخطئ وسائد لكل

أوصال الأيدى ويصنعن مخدات لرأس كل قامة لإصطياد النفوس» حز ١٣ : ١٨ . ووضع الوسائد تحت أوصال الأيدى هو مدح وتملق النفوس التى إبتعدت عن الاستقامة وانغمست فى ملذات العالم والشخص الذى لا يوجه إليه اللوم والتوبيخ العنيف عندما يخطىء بل يكال له المديح يكون كمن وضعت له وسائد تحت مرفقيه أو رأسه حتى يستريح فى وضعه الخاطىء حيث لا يقلقه توبيخ جاف .

ويظهر الرعاة هذا التساهل نحو الأشخاص الذين فى مقدورهم أن يمنعونهم من الحصول على المجد العالمى . ولكنهم يوبخون بشدة وباستمرار الأشخاص الذين ليس فى مقدورهم أن يفعلوا شيئاً . وهم لا يوبخونهم بلطف أبداً . بل ينسون التواضع الرعوى ويوقعوا الرعب فى قلوبهم بحكم سلطتهم كرعاة . وتدين الكلمة الإلهية أمثال هؤلاء الرعاة على لسان النبى القائل « بل بشدة وعنف تسلطتم عليهم » حز ٣٤ : ٤ . هؤلاء يحبون أنفسهم أكثر من خالقهم ويتباهون وهم يتخذون إجراءاتهم ضد رعاياهم . وهم لا يفكرون فيما يجب أن يفعلوه ، ولكن يفكرون فقط فى القوة التى يملكونها . ولا يخافون من الدينونة المقبلة . ولكنهم يفخرون بقوتهم الزمنية وبأن لهم الحرية بأن يتصرفوا تصرفات خاطئة وبدون أى معارضة من رعاياهم .

والشخص الذى يتصرف تصرفاً شريراً ويرغب فى أن يسكته الآخرين عنه هو شاهد على نفسه لأنه يرغب فى أن يحبه الآخرون أكثر من الحق الذى لا يريد الدفاع عنه ضد نفسه. وبالطبع ليس هناك من يعيش بلا خطية. ولكن الشخص الذى يحب ألا يخشاه الآخرون فى الحق يحب الحق أكثر من نفسه، ولهذا قبل بطرس بسرور توبيخ بولس (غلا٢: ١١). وأصغى داود بقبول لتوبيخ أحد الرعية (٢ مل١٢: ٧). لأن الرعاة الصالحين الذين لا يهتمون بحب النفس يأخذون الكلمات الحرة الصادقة التى تصدر عن الرعية على أنها تزيد من تواضعهم. ولكن فى هذه الناحية يجب أن يؤخذ منصب الرعاية بكثير من الاعتدال بحيث لا يؤدى إعطاء الرعية الحرية إلى التعبير عن آرائهم فى بعض الأمور التى أصابتهم بالغرور فإنهم إذا منحوا حرية الكلام أكثر من اللازم فقدوا تواضعهم. ويجب أن نلاحظ أيضاً أن الرعاة المهرة يجب أن يحرصوا على إرضاء الناس ولكن بحيث يجذبوا الرعية إلى محبة الحق بالتقدير الذى يكنونه لرعاتهم. وفى هذه الحالة لا يرغب الرعاة فى أن يكونوا محبوبين هم أنفسهم، ولكنهم يرغبون فى أن يكون هذا الحب طريقاً يقود قلوب السامعين إلى محبة الخالق، ومن الصعب على إنسان غير محبوب مهما كان وعظه جيداً أن يجد مستمعين

مستجيبين . لهذا يجب أن يهدف كل راعي إلى أن يكون محبوباً لكي يستمع الناس إليه . وليس لكي يحبوه لشخصه لئلا يتمرد فكره على الإله الذي يخدمه في منصبه .

ويشير بولس الرسول إلى ذلك عندما يوضح لنا أسرار جهاده قائلا «كما أنا أيضاً أرضي الجميع في كل شيء» ١كو١٠: ٣٣. ثم يقول أيضاً «فلو كنت بعد أرضي الناس لم أكن عبداً للمسيح» غلا ١: ١٠ . هكذا يرضي بولس الرسول الناس ولا يرضيهم . لأنه في رغبته لإرضاء الناس لم يرغب في أن يرضيهم بل أن يرضي الحق الناس بواسطته .

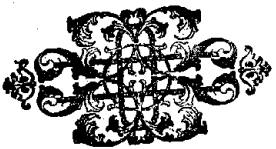

الفصل التاسع

يجب ان يدرك الراعى ان الرذائل غالبا ما تتخفى فى ثياب الفضائل

يجب أن يفهم الراعى أن الرذائل ترتدى عادة أقنعة الفضيلة. فعلى سبيل المثال غالباً ما يسمى البخيل نفسه مدبراً . بينما يخفى المبذر حقيقة نفسه ويقول أنه سخى اليد . وأحياناً يعتبر التساهل الزائد وقلة الحزم رحمة ومحبة وينظر للغضب المتهور على أنه غيرة روحية . وكثيراً ما يعتبر التسرع والتهور نشاطاً وهمة نافعة . ويعتبر التباطؤ والتكاسل نوعاً من التمهل الرزين . ولهذا ينبغى على راعى النفوس أن يميز بحكمة وعناية الفضائل من الرذائل لئلا يتمكن البخل من قلبه وهو يبالغ فى الظهور بمظهر المدبر أو يفخر بكرمه كما لو كان فضيلة وهو فى الحقيقة مبذر ومتلاف. أو يتغاضى عما يجب أن ينتقده بشدة فيجلب لرعيته العقاب الأبدى أو يعاقب الأخطاء بدون رحمة فيخطىء بذلك خطأ أكبر أو إذا شد التعجل الطائش وقار واستقامة تصرفه كذلك فإن تأجيل عمل صالح قد يحوله إلى عمل شرير .

* * *

الفصل العاشر

الحكمة المطلوبة من الراعي في استعمال التوبيخ والتغاضي والشدة واللطف

ينبغي أن يلاحظ أيضاً أنه في بعض الأحيان يجب التغاضي بحكمة عن أخطاء الرعية ولكن مع إشعارهم بهذا التغاضي . وفي بعض الأحيان يحسن التغاضي عن بعض الأخطاء ولو كانت معروفة للجميع . ولكن في حالات أخرى يجب أن يستعمل التدقيق الشديد ولو كانت الأخطاء مستورة وبحسب الحالة يجب أن يتصرف الراعي سواء بالعتاب اللطيف أو بالعقاب الشديد .

وبعض الأشياء كما قلت يجب التغاضي عنها بحكمة . ولكن هذا التغاضي يجب أن يكون بحيث يشعر الخاطيء أنه قد اكتشف أمره وغض النظر عن خطأه حتى يخجل من التمادي في أخطاءه التي أدرك أنه قد غض النظر عنها في صمت . وقد يعاقب نفسه بأن يصبح قاضي نفسه إذا سامحه الراعي برحمة . بهذا التسامح وبخ الرب اليهودية عندما قال على لسان النبي « وممن خشيت وخفت حتى خنت وإياي لم تذكري ولا وضعت في قلبك أما أنا ساكت » أش٥٧ : ١١ تغاضي الرب عن أخطائها وجعلها تعرف أنه قد فعل ذلك . لم يقل

الرب شيئاً ضد المخطىء ، ومع ذلك أعلن أنه قد تسامح ، فإن بعض الأشياء حتى ولو كانت معروفة علانية - يجب التغاضى عنها بحكمة عندما لا تكون الفرصة مناسبة للتوبيخ العلنى . إن العلاج فى غير الوقت المناسب يزيد الجروح ، وإذا كانت الأدوية غير مناسبة فمن المؤكد أنها لا تصلح لغرض الشفاء .

ويختبر صبر الراعى فى تحمل أخطاء الرعية أثناء بحثه عن فرصة لإصلاحهم . ولهذا قال صاحب المزامير «على ظهرى ضرب الحراث» مز ١٢٩ : ٣ . لأننا نحمل الأثقال على ظهورنا . وهكذا يشكو داود من أن الخطاة قد أثقلوا ظهره وكأنه يريد أن يقول إن «أولئك الذين لا أستطيع إصلاحهم، أحملهم كحمل» .

ومع ذلك فإن هناك بعض الأمور السرية التى يجب البحث فيها بتدقيق ، فإذا ظهرت بعض الأعراض أمكن للراعى أن يكتشف كل ما يعمل داخل عقول الرعية ، وبالتوبيخ فى الوقت المناسب يمكنه أن يستخلص من الأشياء غير المهمة أشياء مهمة ، ولهذا قيل لحزقيال «يا ابن آدم إنقب فى الحائط» ويضيف نفس النبى «فنقبت فى الحائط فإذا باب وقال لى أدخل وأنظر الرجاسات الشريرة التى هم عملوها هنا . فدخلت ونظرت وإذا كل شكل دبابات وحيوانات نجس وكل أصنام بيت إسرائيل مرسومة على الحائط»

حز ٨ : ٨ - ١٠ : فحزقيال يرمز إلى السلطة والحائط يرمز إلى قسوة الرعية ، والنقب فى الحائط هو الكشف عن قسوة قلوبهم بالاستجواب الدقيق . وعندما نقب حزقيال الحائط وجد باباً . وهذا يرمز إلى أنه عندما تتكشف قساوة القلب بواسطة الاستجواب المدقق أو التوبيخ الحكيم يظهر باب فترى من خلاله كل الأفكار الداخلية . ويتبع هذه الكلمات الآتية « أدخل وأنظر الرجاسات الشريرة التى هم عملوها هنا » فهو يدخل ليرى الرجاسات. وكذلك الراعى الذى يرى بعض الأعراض الخارجية فينفذ عن طريقها إلى قلوب رعيته تتكشف له كل الأفكار الشريرة الموجودة بها .

ولهذا إستعرض النبى قائلا « قد دخلت ونظرت وإذا كل شكل دبابات وحيوانات نجس » والدبابات هنا ترمز إلى الأفكار الأرضية تماماً ، بينما يرمز الحيوان إلى الأفكار التى تسمو عن الأرض قليلا ولكنها لازالت تتوقع الجزاء الأرضى لأن أجسامها الزواحف تلتصق تماماً بالأرض . بينما ترتفع أجسام الحيوانات عن الأرض إلى حد كبير ولكنها مرتبطة بشهواتها الجشعة . فالدبابات تكون موجودة داخل الحائط إذا كانت فى الذهن أفكار لا تسمو أبداً عن الرغبات الأرضية .

أما وجود الحيوانات داخل الحائط فيحدث عندما توجد أفكار صالحة ولكنها تضعف أمام الرغبة فى المكاسب والأمجاد الأرضية . وبالرغم من أن هذه الأفكار تسمو عن الأرض إلا أنها تهبط بنفسها إلى الحضيض بسبب سعيها لإرضاء الشهوات الجشعة . ولهذا أضيفت هذه الزيادة العكسية « وكل أصنام بيت إسرائيل ورسومه على الحائط » لأنه مكتوب ... « الطمع الذى هو عبادة الأوثان » كولو ٣ : ٥ . لهذا أضيفت الأصنام بعد الحيوانات لأن البعض يسمون بأنفسهم عن الأرض بأعمالهم الصالحة ولكنهم يهبطون بأنفسهم إلى الأرض بطموحهم الشرير وحسناً قيل أنها مرسومة على الحائط لأن هذا يشبه ما يحدث عندما تدخل الأشياء العالمية إلى العقل فتنطبع الخيالات التى تدور فى ذهن الإنسان على قلبه كرسوم . من هذا نلاحظ أنه فى بادىء الأمر يظهر ثقب فى الحائط . ثم باب وعندئذ فقط تنكشف النجاسات الخفية . لأن كل علامة الخطية تظهر أولا فى الخارج . ثم يظهر باب تخرج منه الخطية العلنية وعندئذ يظهر كل شىء بالداخل .

وهناك بعض الأشياء التى يجب أن توبخ بلطف . فمثلا إذا إرتكبت الخطية ليس عن عمد ولكن عن ضعف أو جهل .

هنا يجب أن يؤنب المخطىء ولكن فى رقة عظيمة لأننا جميعاً عرضة لضعفات طبيعتنا الفاسدة طالما نحن موجودون فى هذا الجسد الفانى . لهذا يجب أن يرى كل إنسان من حالته الشخصية كيف ينبغى أن يكون شفوقاً على ضعفات الآخرين لأننا ننسى حالة ضعفنا عندما نندفع بشدة إلى توبيخ الآخرين من أجل ضعفاتهم . ولهذا يعلمنا بولس قائلا « إن إنسبق إنسان فأخذ فى زلة ما فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظراً إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً » غلا ٦ : ١ . بهذه الكلمات يريد بولس أن يقول أنه عندما تغضبنا خطية الآخرين يجب أن نفكر فى أنفسنا فنرق فى توبيخ الآخرين إذ نخشى أن تكون مثل هذه النفس .

إلا أن هناك أشياء ينبغى أن توبخ بصرامة فإذا لم ينتبه إنسان لإثمه فإن التوبيخ يذكره بجسامته . أما إذا تغاضى عنه فإنه يلمس خطورة خطيته حسب قسوة التوبيخ . ومن واجب الراعى أن يكشف عن أمجاد الوطن السماوى وأن يظهر تجارب العدو القديم التى تحوم فى رحلة العالم وان يصلح من إعوجاج الرعية بالتأنيب حين لا يجدى معهم العطف حتى لا يتحمل الراعى كل الذنب إذا هو لم يغضب للإثم .

وهكذا قيل لحزقيال « وأنت يا ابن آدم خذ لنفسك لبنة وضعها أمامك وارسم عليها مدينة أورشليم ثم أضاف قائلا : « واجعل عليها حصاراً وابنى عليها برجاً وأقم عليها مترسة واجعل عليها جيوشاً واقم عليها مجانق حولها » وأضاف الرب واضعاً متراساً لحزقيال « وخذ أنت لنفسك صاجاً من حديد وانصبه سوراً من حديد بينك وبين المدينة » حز ٤ : ١ - ٣ .

أليس حزقيال مثالا ، للمعلم لذلك يقول له الرب « خذ لنفسك لبنة وضعها أمامك وارسم عليها مدينة أورشليم » المعلمين الصالحين يضعون لبنة أمامهم عندما يتعهدون قلوب السامعين ويشددون عليها الحراسة بتكريس عظيم . وهكذا أمرهم الرب أيضاً أن يرسموا عليها مدينة أورشليم . أى أنهم سيتعبون محاولين كشف رؤيا السلام الفائق لقلوب عالمية . ولكن حيث أننا لا نستطيع إدراك أمجاد الوطن السماوى دون أن نتمرس على مواجهة تجارب عدونا الماكر العظيمة فقد أضاف الرب قائلا « واجعل عليها حصاراً وابنى عليها برجاً » . وهكذا الرعاة الصالحون يسبحون حول اللبنة التى رسم عليها صورة أورشليم المدينة ، عندما يحصنون القلوب العالمية والتى تسعى وتشتاق إلى المدينة السمائية ويكشفون لها مدى قسوة هجوم آثام هذه الحياة المعادية لهم . وعندما يكشف

الراعى كيف أن كل خطية تضرب حصاراً حول المتقدمين فى النعمة فإنه حينئذ يجعل حصاراً على أورشليم ولأنه ينبغى أن نعرف أننا لا ينبغى فقط أن نقاوم الخطية بل أن ننمى الفضيلة التى تمنحنا القوة أضـــاف الرب قائلا « إبن عليها برجاً » . وهكذا يبنى الرعاة الصالحون أبراجاً عندما يظهرون الفضائل التى نقاوم بها الرذائل . وحيث تنمو الفضيلة وتقوى هكذا تندلع حرب التجارب وتزيد . ولذلك أضاف الرب قائلا « وأقم عليها مترسة واجعل عليها جيوشاً وأقم عليها مجانق حولها » والترس يقام بالحديث عن كيد التجارب المتلاحقة ، وكما أنه يجعل جيوشاً عليها عندما يحذر السامعين من شباك العدو المماكر ، وعندما يعرف الراعى شعبه بأخطار التجارب المحيطة به فى هذه الحياة والتى تخترق حواجز الفضيلة فإنه يقيم المجانق حولهم .

ولكن بالرغم من توضيح الراعى المستمر لهذه الأمور فإن هذا لا يرفع من عليه مسئولية الأبدية إذا لم تتحرك روحه فى حمو الغيرة وشدتها لمواجهة تراخى كل فرد . لذلك أضاف الرب أيضاً « وخذ أنت لنفسك صاجاً من حديد وانصبه سوراً من حديد بينك وبين المدينة » فالصاج هنا يرمز لحمو العقل والحديد يرمز لقسوة التوبيخ . إذ لا شىء يشغل عقل المعلم ويؤلمه أكثر

من غيرة الله المشتعلة وهكذا إكتوى بولس بالصاج المشتعل فقال « من يضعف وأنا لا أضعف . من يعثر وأنا لا ألتهب » ٢ كو ١١ : ٢٩ . هذه الغيرة الملتهبة لله تقوى الإنسان وتحصنه وتنحى عنه تهمة الإهمال . ولذلك قيل حقاً ! « وانصبه سوراً من حديد بينك وبين المدينة » .

لكن علينا أن نذكر أنه من الصعب على الراعى فى مثل هذه الأمور أن يتجنب بعض ألفاظ التوبيخ التى كان ينبغى أن يتحاشاها إذ يحدث عادة أن يتطرف المعلم فى توبيخه عندما يريد أن يصلح من خطأ أحد الرعية . فيطرح بذلك قلوب الخطاة فى هوة اليأس لذلك فإنه من الضرورى على الراعى الذى يحزن على رعيته أن يستغفر الله فى حزن لأنه أحزن قلب رعيته أكثر مما يجب فأخطأ إذ تطرف فى غيرته .

هكذا قال الرب لموسى « ومن ذهب مع صاحبه فى الوعر ليحتطب حطباً فاندفعت يده بالفأس ليقطع الحطب وأفلت الحديد من الخشب وأصاب صاحبه فمات فهو يهرب إلى إحدى تلك المدن فيحيا . لئلا يسعى ولى الدم وراء القاتل حين يحمى قلبه ويدركه إذا طال الطريق ويقتله وليس عليه حكم الموت لأنه غير مبغض » تث١٩: ٥ . والراعى يذهب فى الوعر مع صاحبه ليحتطب وبذلك

ينتبه إلى أخطائه وهو يقطع الحطب عندما يخلص صاحبه من الخطية فى حب ورعاية . ولكن إذا أفلت الحديد من الخشب فإن التوبيخ يكون قد زاد عن حده وينحدر إلى القسوة . أما إن أصاب الحديد صاحبه فمات يكون الراعى قد قتل روح المحبة فى رعيته بكلام السباب .

وهكذا تحل الكراهية فى قلوب الرعية . إذا إشتد عليها التوبيخ . وإذا أفلت الحديد من الخشب وأصاب صاحبه فمات فينبغى أن يهرب إلى المدن الثلاث حتى يحتمى فى واحدة منها . لأنه إن حزن بندم واحتمى بالرجاء والمحبة فى وحدة الأسرار فإنه لا يحتسب مذنباً . وحتى ولى الدم لا يقتله لأنه عندما يأتى الديان العادل الذى جعل نفسه واحـــداً معنا وشارك طبيعتنا لا يرضى أن يأخذ بذنبنا . إذ قد إحتمينا فى الإيمان والرجاء والمحبة فى ستر مغفرته .

✝ ✝ ✝

الفصل الحادى عشر

انسحكاب الراعى على التأمل فى الناموس المقدس

نعم إن هذا كله يتحقق إذا كان للراعى روح الخوف المقدس والحب إذ أنه يتأمل كل يوم الكلمات المقدسة .

إن كلمات الوحى الإلهى تعيد إليه حاسية المسئولية والتمييز بالنسبة لحياة السماء التى كثيراً ما يهدمها طول الإختلاط بالناس فالإنسان الذى يخلط سفيناً طويلة بالعالم عليه أن يجدد على الدوام حبه للوطن السماوى . حقاً إن النفس تنحدر كثيراً فى وسط مشاغل العالم . وبما أنه من الواضح أنها تنحدر إلى الهلاك فى دوامة إلا المشاغل الخارجية . فإنه ينبغى على الدوام أن يكون هدفها هو القيام ساعية وراء إتمام الوصايا . هكذا يوصى بولس التلميذ الذى تسلم الرعاية قائلا له « إلى أن أجىء أعكف على القراءة والوعظ والتعليم » ١ تيم ٤ : ١٣ . وهكذا يقول داود « كم أحببت شريعتك اليوم كله هى لهجى » مز ١١٩ : ٩٧ . ولأجل هذا أمر الرب موسى بخصوص حمل التابوت « وتسبك له أربع حلقات من ذهب وتجعلها على قوائمه الاربع . . . وتصنع عصوين من

خشب السنط وتغشيهما بذهب وتدخل العصوين فى الحلقات على جانبى التابوت ليحمل التابوت بهما . تبقى العصوان فى حلقات التابوت لا تنزعان منها » خر ٣٥ : ١٢ - ١٥ . إن التابوت هو رمز للكنيسة المقدسة وقد صارت الوصية إلى موسى أن يسبك له أربع حلقات على قوائمه الأربع ومن الواضح أن هذه تشير إلى أربع جهات العالم التى إنتشرت فيها الأربع أناجيل . أما العصوان من خشب السنط اللذان يثبتان فى الحلقات فهم الرعاة الساهرين الذين ينكبون على وصايا الكتب المقدسة ويلتصقون بها على الدوام معلنين وحدانية الكنيسة المقدسة وكأنهم يحملون التابوت بدخولهم فى الحلقات . ومعنى حمل التابوت بخشب السنط هو أن تدخل الكنيسة المقدسة بتعاليمها إلى عقول المؤمنين وإذ يغطى الخشب برقائق الذهب فإن التعاليم تشع فى هذا العالم وهكذا أضاف الرب « تبقى العصوان فى حلقات التابوت لا تنزعان منها » . إن الذين يتعهدون خدمة الرعاية عليهم ألا يفارق سفر الشريعة فمهم . وقد أمر الرب موسى أن لا تنزع منها العصوان حتى لا يصرف وقت عند الضرورة فى حمل التابوت . وإذا سألت الرعية الراعى فى أمر روحى عليه ألا يتأخر فى الإرشاد . لتبقى العصوان دائماً فى الحلقات ، ليتأمل الرعاة على الدوام فى

الكتب المقدسة حتى يرفعوا سريعاً تابوت العهد الجديد فيعلموا عند الضرورة .

لذلك قال بطرس الرسول « بل قدسوا الرب الإله فى قلوبكم مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم بوداعة وخوف » ١ بط ٣ : ١٥ . وكأنه يريد أن يقول « أن تبقى العصوان فى الحلقات لا تنزعان منها » .